الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٩٩٩٢/٥٦٧٦٩

العدد ٢٨٨ | الثلاثاء ١٣ من رجب سنة ١٣٦٣ — ٤ من يوليه سنة ١٩٤٤ | السنة السادسة

فهرس العدد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصر غداً ...

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

تتردد في هذه الأيام في أوربا وأمريكا أصداء صيحات كثيرة، تعبّر عما في نفوس العالم من مشاعر قوية أثارتها هذه الحرب الطاحنة، التي تدور رحاها في مشارق الأرض ومغاربها. فقد تكشفت أمام أعين الجميع ما تنطوي عليه النظم القائمة من عناصر الفساد، تلك العناصر التي أدت بالإنسانية إلى هذا النضال الهائل الذي يكلف العالم من الضحايا ما لا يستطيع العقل أن يتصوره، بعضها ضحايا من الأموال والجهود والموارد التي لا يسهل تعويض العالم عنها، والبعض الآخر ضحايا عزيزة من النفوس البشرية التي لا تقوّم بالأموال ولا بموارد الأرض كلها.

وهذه الصيحات لا تخلو من نبرات الأنغام الحزينة، التي تعبّر عن الآلام المبرحة التي تقاسيها الإنسانية المعذبة من الكوارث التي جرّتها على الأمم عناصر الشر الكامنة في بعض النظم، وفي بعض الثقافات، وفي كثير من أساليب السياسة الدولية. ولكن هذه الصيحات لا تخلو كذلك من أنغام أخرى مستبشرة، تعبّر عن الآمال الكبرى التي تعلقها الشعوب المتمدينة على النظم الجديدة، التي لا مناص من إقامتها بعد أن تضع هذه الحرب الطاحنة أوزارها، وتنتصر قوى الحق المجاهد على عواصف الطغيان الجامحة التي لا تعترف إلا بالحديد والنار، ولا تعرف في الوجود قانونا سوى قانون الغابة — قانون القوة والبطش والافتراس.

وإنه لما يملأ القلوب ثقة بالمستقبل أن السحب القاتمة التي كانت تلبد الأفق كله منذ سنتين، قد أخذت تتفرق

رويداً رويداً ، ويلوح من بينها لون السماء الأزرق الصافى ، وأن الأعاصير العاصفة التى كانت تهز دعائم العالم قد أخذت تخبو وتضمحل ، ولم تستطع أن تقتلع تلك الدعائم المتينة التى بنتها الإنسانية على مدى قرون طويلة من جهاد وتضال وتفكير وتصميم .

لقد تنبه ذهن العالم عندما هزته هذه الحرب ، وجعل ينظر ويفحص ويتأمل . ولا شك فى أن المحن تحمل دائماً على مقابلة الحقائق فى صراحة وشجاعة ، لأن الأمم التى تجالد فى وجه الموت لا تستطيع أن تغرر بنفسها وتخادعها ، وتدارى عنها الحقائق مهما بلغت من القسوة ، لأنها تعلم علم اليقين أن الآلام المبرحة التى تقاسيها اليوم فى جهادها ، ليست سوى نتيجة محتومة لعدم جرأتها فى مواجهة تلك الحقائق من قبل فى صراحة وشجاعة .

فهناك سيل قوى من التفكير فى مختلف ميادين الحياة ، وسيل من الكتب التى ألفها قادة الفكر فى أوربا وأمريكا ليعالجوا ما فى النظم القائمة من عناصر الضعف ، وليرسموا الخطط لنظام إنسانى جديد ، يطلع على العالم ويحقق له أعظم قسط مما يصبو إليه من المثل العليا الإنسانية .

ونحن فى مصر فى قلب العالم المتمدين كله ، وقد قاسمنا الأمم المتمدينة حظها من المشقة ، وشاطرناها آلامها وآمالها ، وقمنا بجهدنا كله فى سبيل نصرتها . لم تكن مصر بمنجاة من هذه الحرب ، وما كان لها أن تكون بمنجاة منها ، وهى بحكم موقعها الجغرافى وعلاقاتها الدولية واقفة فى قلب ميدان المعمعة العامة . فكان عمالها يعملون كما يعمل العمال الإنجليز والأمريكان فى بلادهم ، وفى خارج بلادهم ، فى الميدان الداخلى الذى لا يقل فى خطورته عن ميدان جبهة القتال ؛ وكانت مصر تجود لحلفائها عن رضا وطواعية بكل ما تملك من وسائل النصر : من مواصلات وموان ومؤن ومستشفيات ؛ وتؤدى كل ما تستطيعه من المساعدة على إحراز النصر ، صادرة فى ذلك عن روح الولاء لمعاهدتها التى أبرمتها مع حليفتها ، لم تأل فى ذلك جهداً ، وهى راضية بكل ما يجره هذا عليها من المشقة ، لأنها تقدر وتدرك أن مستقبلها الذى تتطلع إليه مرتبط بانتصار مبادئ الديمقراطية التى تكفل للإنسان حقوقه الطبيعية فى الحرية الإنسانية ، وتكفل للأمم كرامتها واستقلالها . وقد أظهر الشعب المصرى فى أشد أوقات الخطر ثباتاً وإخلاصاً للشرف ، لا يستطيع أحد أن ينكر سموهما ، ولم يتردد المنصفون من كبار ساسة الأمم المتحالفة وزعمائها فى أن يجاهروا بإعجابهم بذلك الموقف النبيل الذى وقفه شعب مصر . فنحن نتطلع إلى ذلك اليوم السعيد الذى يعود فيه السلام بعد انتصار مبادئ الحق والعدالة الإنسانية ، مطمئنين إلى يقيننا فى أن المستقبل سيحقق لنا ما كنا نصبو إليه دائماً من الحياة الكريمة فى ظل استقلالنا المكفول بالمعاهدة . فليس من الغريب إذن أن تتردد فى قلوب هذا الشعب المصرى كل صيحات المفكرين فى أوربا وأمريكا ، وأن تجيش فى أعماق قلوبه أصداء تلك الآلام وتلك الآمال التى تتطلع إليها شعوب العالم المتمدن جميعاً .

فنحن نردد هذه الأصداء لأنفسنا فى خلواتنا ، وفى مجامعنا ، وعلى صفحات جرائدنا ، وإن كان مفكرونا لم ينطقوا بها فى سيل من المؤلفات يشبه ما صدر عن أوربا وأمريكا .

نحن على يقين من أن المفكرين والزعماء ، ورجال الحكم والسياسة العملية فى مصر يعرفون حقيقة الموقف ، ويتخذون له أهبة من الاستعداد النفسى والذهنى ؛ ولكنا لا نزال نتطلع إلى التعبير الصريح عن كل ما فى نفوسنا ، ولا نزال نرجو أن تهيأ لنا صورة واضحة من موقفنا فى الوقت الحاضر ، ومن مآلنا فى المستقبل بعد تمام النصر ؛ لا نزال نتطلع إلى تجلية الصورة التى سيكون

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليها موضعنا في النظام الجديد الذي سيشمل العالم كله بعد حين ، محققاً تلك المبادئ العليا التي تبذل مصر جهدها مع الإنسانية في سبيل انتصارها . حقاً إن العالم لم يفرغ بعد من جهاده ، ولم تخطر له بعد فكرة السلام ، لأنه لا يزال في قلب المعمعة ، ولا يزال همه الأكبر بلوغ الهدف الأوحد وهو النصر ، ولكن ذلك الجهاد الشاق لم يشغله عن التفكير في الغد ، وما يكون فيه من تعمير وتنظيم وإصلاح شامل .

وجدير بنا أن نعد عدتنا منذ الآن لرسم خطط حياتنا في المستقبل ، حتى نكون على استعداد لمشاركة الإنسانية في بنائها إذا ما حان وقت إقامة النظام الجديد .

لقد مرت بمصر تجربة سابقة في الحرب الماضية ، ونرجو أن نكون قد أفدنا من تلك التجربة درساً يحمينا مما وقعنا فيه من الأخطاء منذ ربع قرن ؛ فقد أغفلنا في تلك الحرب ما كان يجب ألا نغفل عنه ، وهو تقدير مشاكلنا في صراحة وشجاعة ، وإعداد العدة للمستقبل بتحديد غاياتنا ووسائلنا ، ورسم الصورة التي نرجو أن تكون عليها بلادنا ، وقنعنا بما كان في نفوسنا من آلام وآمال مبهمة ، فلما انتهت الحرب وجاء وقت التنظيم لم تكن لنا خطة واضحة فيما نريد ، ولا في الوسائل التي نسلكها للوصول إلى أغراضنا ؛ ولذلك لم نستطع أن نتجنب صدمات المفاجأة . فلما بدأ زعماؤنا يتحدثون ويعربون عن أماني البلاد لم تكن النفوس مستعدة للتفكير في هدوء واطمئنان ، وحدثت النتيجة المحتومة ، وهي التصادم بين وجهات النظر المختلفة ، وكان ذلك التصادم سبباً في كثير من النكبات ، كما أنه أدى إلى إضاعة سنوات عدة في نضال وكفاح قبل أن نستطيع الوصول إلى التفاهم وتلاقي وجهات النظر المختلفة . ولو كنا قد صارحنا أنفسنا وصارحنا سوانا بكل ذات أنفسنا ، لما كان هناك موضع للمفاجأة بعد الحرب ، ولكنا استطعنا الوصول إلى التفاهم في يسر طبيعي ، لأن المسألة المصرية ليست من المشاكل المعقدة في شيء ، إذا نظر إليها نظرة عادلة .

إننا نعتقد أن موقف مصر ليس فيه شيء من التعقيد ، فإن نظرة واحدة إلى ماضينا وحاضرنا تكفي لكي تزيل كل شبهة تحيط بمستقبلنا ، فمصر في حاضرها وفي ماضيها أمة جديرة بالحياة الكريمة المستقلة . فهي في ماضيها ذات ثروة من الفضل على العالم كله ، فقد أمدته بأساس ثقافاته ، وقامت على نشر المدنية فترة آلاف السنين على الأمم كلها ؛ وشعب مصر كان ولا يزال شعباً عاملاً مجداً ، يقدم إلى الإنسانية خدمات جليلة لا تستطيع الاستغناء عنها ، وهو يستطيع أن يؤدي إلى عالم الغد خدمات جليلة أخرى أعظم قدراً وأجل شأناً مما سبق له تأديته في كل العصور الماضية .

فمصر في قلب العالم بغير شك ، ولا غنى للعالم كله عن مواصلاتها وقناة سويسها في حركة الملاحة التي ستزداد قوة وخطورة في السنوات المقبلة بعد الحرب . وجو مصر الصافي وصحراؤها الفسيحة تجعل فيها أعظم مركز جوي يربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب لكل أمم الأرض ؛ وشعب مصر العامل ما بين فلاح وصانع يبرهن كل يوم على أنه قوة عظيمة في الإنتاج ، ويستطيع أن يساير أمم الأرض في توفير الخيرات وتحقيق السلام ؛ وسماحة نفوس أهل مصر لا تزيد عليها سماحة نفوس أعظم الأمم الغربية ، إذا لم نقل إنه لا يدانيهم شعب في هذه السماحة ، فقد كانت الدولة المصرية في كل العصور ملجأ آمناً للقاصدين ، ومنزلاً رحباً لجهود أصحاب الذكاء والهمة من أبناء الأمم الأخرى ، تفتح ذراعيها لمشروعاتهم ، وتظلهم بعطفها وكرم وفادتها . ولم يخرج شعبها من هذه السماحة في عصر من العصور ، فكان ولا يزال يرحب بالنزلاء ، ويتعاون معهم ، مع أنه قد مرت به أوقات قاسى فيها الشدائد والمحن على أيدي

البعض من الخبثاء من هؤلاء النزلاء ، الذين لم يقابلوا كرم المصرى بمثله ، بل جازوه سوءاً وظلماً ومكراً سيئاً بكرمه ورحابة صدره ولين جانبه وتسامحه . هذه النزلات كلها وسواها مما لا يقع تحت حصر تزيل كل شبهة تحيط بمستقبلنا ؛ فمصر أمة صالحة فيها كل عناصر الصلاح للتعاون العالمى ؛ ودولة مصر المستقلة دولة عرفت كيف تحفظ شرفها وكيف تشارك فى توجيه مستقبل الإنسانية نحو الكرامة والحرية .

وإنه ليجدر بنا أن نبدأ بالهدف الأول الذى يهمنا فنظهره صريحاً لأنفسنا ولسوانا . ذلك الهدف هو أن ننظر فى علاقتنا مع حليفتنا فنزيل منها كل لبس ، ونضعها وضعاً جديداً تقتضيه طبيعة الأمور . فقد قامت المعاهدة المصرية الإنجليزية على أساس افتراض مسلم به ، وهو أن هناك خطراً من اعتداء بعض الدول عليها . ولكن العالم سيكون بعد الحرب غير عالم الأمس ؛ هذا لا شك فيه ، وإنا نحن بل نكاد نتأكد من أن تتغيراً جوهرياً سيطرأ عليه . وذلك أنه لن تكون العلاقات بين الدول قائمة على الفوضى وقانون الغابة ، بل ستكون العلاقات فيما بينها على مواثيق إنسانية قوية مثل (ميثاق الأطلنتيق) . وسيكون للدول مجتمعة هيمنة فعلية على تنظيم تلك العلاقات وإحاطتها بسياجها ، فلن يكون هناك خطر من اعتداء قوى على ضعيف ، أو استغلال موارد شعب وحرمانه من حق الحياة فى سبيل إنعام شعب آخر وتوفير وسائل الترف له .

ومصر بلاد لا تقاس ثروتها الطبيعية بشيء من تلك الثروات الهائلة التى كشفت عنها هذه الحرب فى البلاد الأخرى . فنحن نلتمس الكفاف من العيش ، كشعب مزدحم ، بوسيلة العمل المتصل والجهاد المستمر للحياة . إن شعب مصر يكسب قوته بنشاطه وذكائه وقوة احتماله . ولذلك كانت أبسط قواعد العدالة الإنسانية أن يعترف له بحقه كاملا فى حياته ، ويترك لجهاده الذى يشارك فى مبادلة دول العالم خدمات بخدمات مثلها . هذا أقل ما يجب لشعب عامل يعتمد فى الحياة على أشرف وسيلة ، وهى عرق الجبين ، فما دامت مصر ستصبح بعد هذه الحرب فى مأمن من المطامع الخارجية بفضل النظام الدولى الجديد ، فليس شيء أقرب إلى الطبيعة من أن يعاد النظر فى المعاهدة التى عقدت مع حليفتها ، لأن تلك المعاهدة قد تمت فى ظروف كانت فيها المخاوف ثائرة من الأطماع الوحشية التى كانت تجتاح العلاقات الدولية قبل سنة ١٩٣٩ .

هذا هو هدفنا الأول الذى يجب أن نصارح أنفسنا به ونصارح به حلفاءنا . وأملنا كبير فى أن ما دلت عليه الحوادث السالفة من حسن النية والإخلاص نحو معاهدتنا ، سيكون أكبر عون لنا على الوصول إلى تفاهم سريع يطمئن إليه الجميع .

محمد فريد أبو حديد

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع حلقة جديدة من السلسلة الذهبية فى القصص الجاهلى :

قصة

المهلهل سيد ربيعة

للأستاذ
محمد فريد أبو حديد

هناك تبدو حركات النفوس من وراء الحوادث ،
أيام العرب تعود إلى الحياة وتتردد فيها أصداء المواقف التى أحدثت العرب للبطولة ومهدت لتاريخهم المجيد .

تطلب من اللجنة ومن المكاتب الكبرى
الثمن ٢٠ مليماً

٥ - عبد الله نديم

كانت الظروف التي تولى فيها الخديو عباس ظروفاً دقيقة ، شاب ناشئ في الثامنة عشرة من عمره ، دُعي من (فينا) حيث يتعلم ليتولى الحكم في مصر ؛ ومصر قد انتهت ثورتها العرابية واطمأن الإنجليز إلى احتلالها ، ووضعوا أسس نظامها ، وتمكنوا من وضع أيديهم على كل شأن من شؤونها ؛ وعباس الشاب قد بُثّ في نفسه آراء الاستقلال والشعور بالوطنية ، والعزم على العمل لاسترداد مصر ما فقدت ؛ وهو يعيب على جده إسماعيل إسرافه ، ويعيب على أبيه توفيق استسلامه ، وعلى رجال الحاشية ضعفهم ؛ وشباب الأمة يملؤه هذا الشعور فيجاوبه ، فيتوجه الخديو لصلاة الجمعة في المسجد الحسيني فيتلقاه الشعب في حماسة ، ويتقدم الطلبة وغيرهم من المتحمسين [illegible] نحو العربة الخديوية ، ويفصلون [illegible] بأنفسهم ، ويقرّب الخديو رجال [illegible] إلى نفسه ومبادئه .

وفي ذلك الوقت كانت فرنسا تشعر بخطئها في سياستها الماضية التي آلت إلى ضعف نفوذها في مصر ، وأخذت تبحث عن طريقة لاسترداد بعض ما فقدت ، فأملت أن يكون من هذه السبل الالتفاف حول « عباس » .

وتركيا كذلك تأسف هذا الأسف ، وتتجه هذا الاتجاه — وكل هؤلاء وهؤلاء يعتمدون على وعد إنجلترا بالجلاء عند صلاح الأمور .

والحكومة الإنجليزية تلوّح في البرلمان الإنجليزي من طرف خفي بالنصح لعباس أن يتبع سياسة والده في مسالمة الإنجليز والتحالف معهم .

وأخذ الخديو عباس يتصل بالشعب ويوسع نفوذه من طريق الرحلات في المديريات ومقابلة الأعيان والعلماء ، وزيارة المعاهد والمدارس ، كما أخذ يميل إلى مباشرة الأعمال بنفسه بالاتصال بالدواوين ، وتكليفه الإخصائيين بكتابة التقارير عن نظم التعليم والجيش ونحو ذلك ؛ فبدا بعد ذلك ومن أجل ذلك شيء من الجفاء بينه وبين اللورد كرومر ، وتسرّب ذلك إلى الشعب .

عند ذلك بدأت تظهر في البلد تيارات مختلفة ، وبدأت توضع بذور الأحزاب المختلفة ، وبدأت تتجلى بوضوح اتجاهات الصحف المختلفة .

هذه تؤيد الحركة الوطنية وتناصر الميول الخديوية ، إما من إخلاص ، وإما رغبة في الاستفادة ، وإما خدمة للسياسة الفرنسية ؛ وهذه تؤيد السياسة الإنجليزية ، إما رغبة في الاستفادة ، وإما من عقيدة أيضاً

وظهر أثر ذلك في الجدل في المجالس والمناظرة في الصحف .

في هذا الأفق المليء بالسحب ، ظهر « عبد الله نديم » [illegible] الخديو عباس بدخول مصر ، فمكث قليلاً [illegible] ما فاته من شؤون مصر مدة غيابه ، [illegible] الفرض وإنشاء جريدة « الأستاذ » ، قال عنها : « إنها جريدة علمية تهذيبية فكاهية » ، تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وظهر العدد الأول منها في أول صفر سنة ١٣١٠ هـ — ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٢ ، يتولى هو تحريرها ، ويتولى أخوه إدارتها ؛ وقد كُتب في أول عدد منها إنها لا تتعرض لسياسة العملية الإدارية ؛ أما السياسة من حيث هي فن فإنها تدخل في موضوعها العلمي .

كانت في أول أمرها تعد امتداداً لجريدته « التنكيت والتبكيت » من حيث موضوعها وأسلوبها ، فهي تعنى أكثر ما تعنى بنقد العيوب الاجتماعية في المجتمع المصري ، وفيها مقال أو نحو ذلك في شؤون الإصلاح السياسي من وجهة عامة ؛ ثم هي تحرر باللغة العربية الفصحى في المقالات السياسية الإصلاحية ، وباللغة العامية في الموضوعات الاجتماعية .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

والمطلع على ما كتبه فى هذا العهد يرى أنه بعد رجوعه من غيبته قد فوجئ بموجة من الانحلال الخلقى فى البلاد: فإفراط لم يكن معهوداً من قبل فى شرب الخمور، وعدم اكتراث الشاربين بنقد الناقدين وعيب العيابين، وانتشار للخمارات فى المدن والبلاد والقرى، وابتزاز الأروام الأموال من طريقها — وشعور النساء بالحرية، فهن يكثرن من الخروج فى الشوارع متبرجات بزينتهن؛ ثم الحشيش والمعاجين والإفراط فيها والاحتفاء بمجالسها؛ ثم استعمال كلمة الحرية وسيلة للانهماك فى اللذات والشهوات؛ وأعجب من ذلك السقوط فى تقليد المصرى للأوربى تقليداً أعمى فى لوى لسانه بالقول، والتشدق باستخدامه كلمات أجنبية أثناء حديثه بالعربية، ولبس الضيق المحبوك من الثياب الإفرنجية؛ فنقد كل ذلك فى أسلوب قوى جرىء، واتهم الأوروبيين بتشجيعهم هذه الأمور حتى يسقط الشرق وتنحل أخلاقه؛ ونقد كذلك مناهج التعليم فى البلاد، وخلوها من بث الروح القومية والعصبية المصرية، و[illegible] إنشاء الجمعيات الخيرية التى تسد هذا النقص، ونحو ذلك.

وعجب مما رأى من أن كثيراً من أولى الرأى فى الأمة أصابتهم الدهشة والرعب من الاحتلال، فانطووا على أنفسهم، ولزموا دورهم، فإن تكلموا فى الشؤون العامة فمن وراء حجاب، وتركوا الناس مبلبلة أفكارهم، مضطربة نفوسهم، لايعرفون أين يتجهون؛ فدعا إلى خروج ذوى الرأى من عزلتهم، واختلاطهم بالرأى العام فى المجامع العامة يخطبون فيهم، ويشرحون ما حدث وما يحدث، حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم.

فى كل ذلك كتب «عبد الله نديم» فى الأعداد الأولى من «الأستاذ» — ووجد النفوس مستعدة لهذه الدعوات كأنها حائرة تنتظر الدليل، ضالة تلتمس الهادى؛ فانتشر «الأستاذ» انتشاراً فاق ما كان يتوقع، فقد كان يطبع منه حول ثلاثة آلاف، كأكبر جريدة يومية إذ ذاك، وأعيد طبع الأعداد الأولى منه.

وقد حاول مرة أن يحرر الجريدة كلها باللغة العربية الفصحى، فأتته رسائل الاحتجاج الكثيرة تذكر له خطأه، لأن المرأة تسمع مقالاته فى بيتها، والعامى يسمعها وهو فى مصنعه ومتجره، والفلاح فى حقله، وكلهم يستفيد من نقده، وكثير يتعظ بنصحه؛ فنزل على رأيهم، وأعادها كما كانت عربية فصيحة فى بعضها، عامية فى بعضها.

ثم نراه تعلو نغمته شيئاً فشيئاً فى الميدان السياسى، ومناصرة الحركة الوطنية، ومؤازرة الخديو عباس، ومناهضة الاحتلال حتى نراه فى العدد الصادر فى ١٧ يناير سنة ١٨٩٣ يظهر قوياً واضحاً فى هذا الاتجاه الوطنى، ويفتتح العدد بمقال جرىء عنوانه: «لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا»؛ وهى كلمة كانت تتردد فى بعض الصحف الأوربية يخاطبون بها الشرقيين؛ ويقع المقال فى ست وعشرين صفحة من أقوى ما يكتب، [illegible] فيها حالة الغرب وحالة الشرق، ووسائل الاستعمار، وما إلى ذلك، ويندد بالغربيين فى أساليبهم، وبالشرقيين فى غفلتهم [illegible] تفعل الأمم الغربية لرقيها، وما تنشره فى أمم الشرق لإعلالها، وما يفعله المصريون فى تخاذلهم وتواكلهم، ويدعو إلى الالتفاف حول الخديو ومطالبته بالمحافظة على حقوقه الشرعية؛ ويختم المقال بقوله: «وبالجملة فقد بلغ السيل الزبى — فإن رفأنا هذا الخرق، وشددنا أزر بعضنا، وجمعنا الكلمة الشرقية، مصرية وشامية وعربية وتركية، أمكننا أن نقول لأوروبا: نحن نحن، وأنتم أنتم؛ وإن بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجنبى فريقاً بعد فريق، حق لأوروبا أن تطاردنا من بلادنا، وتصدق فى قولها: «لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا»

واستمر على هذه النغمة كذلك فى الأعداد التالية. والمطلع على الحوادث التى كانت تجرى فى تلك الأيام، يرى أن علو هذه النغمة كانت صدى لما يحدث من أزمات. ففى هذه الأيام بعينها اشتد الجفاء بين الخديو عباس واللورد كرومر؛ ففى ١٥ يناير سنة ١٨٩٣ أقال الخديو مصطفى باشا فهمى منتهزاً فرصة مرضه، وعهد إلى حسين فخرى باشا بتشكيل

الوزارة ، فعارض اللورد كرومر في أن تعين الوزارة من غير أخذ رأيه ؛ واشتد الأخذ والرد ، وأنذرت إنجلترا الخديو إنذاراً شديداً ، وانتهت المسألة باستقالة حسين فخري وتعيين رياض باشا حسبما أشار اللورد كرومر . وانتشر الخبر في الشعب ، فأقبلت الوفود على الخديو في ١٨ يناير تلقى الخطب في تأييده في موقفه ، وظهر أثر ذلك واضحاً في الجرائد التي تناصر الحركة الوطنية ، فكان هذا هو السبب فيما نرى من حرارة مقالات النديم في تلك الأيام وما بعدها ، ومناصرته للخديو ، ومنازلته للجرائد المخالفة في قوة ووضوح .

وهو — مع هذا — يتوسع في اقتراحات الإصلاحات الاجتماعية : فينقد علماء الأزهر في انزوائهم وعدم معرفتهم بالدنيا وما يجري فيها ، ويضع برنامجاً واسعاً لإصلاح الأزهر ؛ والزراعة في مصر وتأخرها ، ووجوب إصلاحها على أساس علمي صحيح ، وفوضى اللغة العربية ، ووجوب إنشاء مجمع يحفظ كيانها ويكمل نقصها ، والخرافات والأوهام ، والطرق الصوفية وما يجري فيها من بدع وعيوب . . . الخ .

ثم علت نغمته طبقة أخرى ، فأخذ ينقد الإنجليز صراحة في سياستهم في الهند ومصر ، ويندد بهم ، ويهيج الناس على الشرين وطرق التبشير ، ويقول : إن السياسة تؤيدهم وتلعب ألاعيبها من ورائهم ، فتألبت عليه الجرائد المخالفة له في مذهبه من إنجليزية وعربية وحذرت منه ، وقالت إنه يعيد البلاد فتنة بين المسلمين وغيرهم ، وبين المصريين بعضهم وبعض ، ويحرك الضغائن بين المصريين والأجانب ، ويهيئ لثورة كالثورة العرابية ، ونصحت أولي الأمر من الإنجليز أن يأخذوا حذرهم منه وإلا ساءت العاقبة . وشهرت به بعض الجرائد الإنجليزية كالتيمس ، والديلي نيوز ، وقالت : إنه متعصب للدين ، مقبح لجميع أعمال الأوروبيين ، وإنه ثوري مهيج وأيدتها المقطم ، ودافع عنه المؤيد والأهرام والوطن ، وبعض الجرائد الفرنسية ؛ ولم يأل هو جهداً في منازلة خصومه والتشهير بهم ، وإعلان عدم المبالاة بما يجري له ، فقد لاقى العذاب ألواناً في أيام اختفائه ، فكل ما سيناله هين بالقياس إلى ما لقي ؛ وأعاد نشر قصيدة له في ذلك كان قد أنشأها في محنته منها :

إذا ما الدهر صافانا مرضنا فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلَدٌ على جَلَد بقينا فإن زاد البلا زدنا يقينا
إذا ما المجد نادانا أجبنا فيُظهر حين ينظرنا حنينا
يقينا فيلهينا التغنّي عن الباكي ويُنسينا الحزينا
ولسنا الساخطين إذا رزئنا نعم يلقى القضا قلباً رزينا
إذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنا نُهينا أن تَهونا

وأخيراً طلب اللورد كرومر من الخديوي عباس نفيه فأطاع ، ولم يستطع أن يحمي من كان يحميه ، وودع « الأستاذ » قراءه في آخر عدد منه صدر في ١٣ يونيه سنة ١٨٩٣ ، فكان عمره أقل من عام ؛ ولم يذكر في وداعه السبب الحقيقي الذي من أجله أغلق « الأستاذ » ونفي صاحبه ، بل قال إن سبب ذلك المرض وحاجته إلى الاستشفاء ؛ وقال في آخر وداعه : وما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ، والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظم والجلالة ، وإن كان المبدأ صعوبة وكدراً في أعين الواقفين عند الظواهر ، وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلا :

أودعكم والله يعلم أنني أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواع تمنت فالسلام عليكم

وكان ينشر ملحقاً « للأستاذ » صفحات من كتاب ألفه وهو في الخفا اسمه « كان ويكون » ، جمع فيما بعد ، ولم يتم — مع الأسف — نشره . كان يريد من تدوينه عرض خلاصة أفكاره الدينية واللغوية والسياسية والأدبية والتاريخية والإنسانية ، ملتزماً فيه حرية الفكر ، وعدم التعصب لدين أو جنس ، ذاكراً فيه ما شاهده في مصر

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

ARCHIVE
archive.sakhrit.com

ما يعانى الترك

من تغيير الكتابة

اطلعت على كلمة للكاتب التركي « يامق صفا » نشرها في جريدة « الجمهورية » سنة ١٩٤٠ ، فاستحسنت أن أترجمها لقراء العربية ، وأنشرها في « الثقافة » لتكون حجة لاحقة بمقالاتي عن الخط العربي .

قال الكاتب :

« يسأل قارئنا :

« ابني الصغير في سن الحادية عشرة ، ولا يعرف الحروف العربية ، وأريد أن أعلمه إياها تعليماً خاصاً ، فماذا تقولون ؟ إني أرى اليوم أن المتاجر بل دواوين الدولة تفضل من يجيد معرفة الحروف العربية قراءة وكتابة إلى الحروف اللاتينية . فهل أستطيع أن أعرف رأيكم في هذا ؟ » .

ثم هناك سبب قوى لتفضيل من يعرف الحروف العربية في أعمال الدولة ، والأعمال الخاصة ؛ لأن معرفة هذه الحروف لابد منها لقراءة الأوراق ، والأضابير(١) ،

والرسائل ، ولا يعرف إلى متى يستمر هذا الحال .

والقانون لم يحرّم قراءة الحروف العربية بل حرّم كتابتها ، فالأب الذى يريد إجادة تثقيف ولده يستطيع أن يعلّمه الحروف القديمة .

ولهذا الأمر جانب عملىّ ، وجانب ثقافىّ ؛ إنّ محالاً على الناشئ التركىّ الذى لا يعرف الحروف العربية ، أن يتعمق في تاريخ الترك وآداب الترك إلى أن يبلغ مستوى وسطاً . هذا الشاب لا يستطيع أن يقرأ نعيما والبجوى وجودت باشا(١) ولا يستطيع كذلك أن يقرأ المخطوطات ولا النقوش على الأحجار ، ولا يستطيع أن يقرأ كتاباً واحداً من خمسة وأربعين ألف كتاب مطبوع ؛ وآداب الدواوين القديمة ليست عنده إلا قطعاً قليلة يحويها كتاب مدرسي أو كتاب مختارات ؛ وكل كتب التنظيمات(٢) تبدو لعينيه بقعاً صغيرة على ورق أبيض كأنها آثار برغوث مشى بخطوات عسكرية ، فلا يستطيع أن يقف كثيراً على أثر أو شخص في تاريخ الآداب المعاصرة ، مثلاً عبد الحق حامد . وكذلك الأدبيات الجديدة ؛ فليس لدى « رباب شكسته ، ولا خلوق ، ولا أيلول » ولا أمثالها نسخ مطبوعة بالحروف الجديدة ؛ ولا

(١) الأضابير : جمع إضبارة ، وهى الدوسيه . وكانت تستعمل في هذا المعنى في الدواوين المصرية .

(١) هذه أسماء ثلاثة من كبار المؤرخين الترك .

(٢) عصر التنظيمات من عهود الإصلاح في تركيا .

من أحداث ، مبيناً ما وراءها من علل .

ووضعه على نمط قصصى ، إذ كان له صديق فرنسى أتى من باريس قبيل الثورة العرابية ، وتعلم العربية والتركية ، وأقام في مصر متتبعاً حوادثها ، وعرف عبد الله نديم في الإسكندرية سنة ١٢٩٢ هجرية وتوثقت بينهما الصلة ؛ وكانت له عزبة قريبة من البلدة التى اختبأ فيها « النديم » ، فاتصل به في مخبئه . وكان الفرنسى يزوره ويخدمه في قضاء أغراضه ، وكثيراً ما يدور الحديث بينهما في الدين والسياسة ؛ فبنى كتابه « كان ويكون » على هذا ، ودوّن فيه ما كان يدور بينهما من حديث وجدل ؛ وأكثر ما نشر كان في أصول الأديان ، وتاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام ، يتخلل ذلك بعض أخبار عن أحواله في مخبئه ، وبعض نظرات سياسية . ومما يؤسف له أن إقفال جريدة « الأستاذ » حال بينه وبين نشر القسم السياسى والتاريخ المصرى من الكتاب ؛ وما نشر منه يدل على نظر عميق واطلاع واسع ، وسماحة دينية لطيفة ، وعاطفة جياشة بحب الخير لمصر والشرقيين .

(يتبع) أحمد أمين

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

طبع بالحروف الجديدة آثار يعقوب قدرى، وفالح رفق، وخالدة أديب، بل كتب أترابنا من الكتاب.

وإذا جاوزنا التاريخ والآداب فكم نعد من الكتب التى لابد من قراءتها لمن يحاول الثقافة المتوسطة وهى لم تنشر بالحروف الجديدة. والشاب الذى لم يقرأ أثراً ما من هؤلاء، لا يصعد إلى مستوى يؤهله لأن يقرأ جريدة يومية أو مجلة أسبوعية، فلابد لفهم الذين يكتبون فيها الإلمام بالثقافة التى نشأتهم.

قد مضت تسعة أشهر أو عشرة منذ اجتمع مؤتمر النشر، ولم يمكن إخراج خمسين كتابا، بل عشرة كتب من الخمسين ألفا التى جعلت حداً أدنى لما يجب أن يحوّل إلى الحروف الجديدة. سل ما وسعك السؤال فلن تظفر بجواب!

ماذا يقرأ الناشئ الذى لا يعرف الحروف العربية؟

هذا جوابى: مهما تكن سنه فلابد من أن يتعلم مع الحروف اللاتينية الحروف العربية [illegible] هى الوسيلة الوحيدة، وذلكم رأيى. [illegible] حافظاً قبل أن تفهم كلة واحدة مما كتبته آنفا، فإنى أقبل هذه التسمية.

إن الحافظ لأعلى جنساً من الجاهل الذى لا خبر عنده من الآداب والتاريخ؛ لأن التعصب والرجعية من أخوات الجهالة لا المعرفة، وأقطع الرجعيات الإمعان بغير هدى.

هذه كلة نشرها كاتب تركى كبير فى جريدة الجمهورية. ولا يزال الترك فى ثورتهم على الحروف العربية، ولا يزال القانون يحرّم تعليمها وتعلمها. وقد عالج الكاتب موضوعاً يعدّه الترك من معالم ثورتهم، ويحرمه القانون فى بلد لا يزال الحكم العسكرى غالبا عليه. فكيف لو أبان الكاتب عما فى نفسه طليقا من كل قيد، قادرا على أن يقول ما يشاء؟!

إن القوم قد جرّبوا فانتهت تجاربهم إلى هذه النهاية، وانتهت إلى أنهم لا يجدون بدًّا من تعلم الكتابة العربية ليقرأ ناشئتهم أدبهم وتاريخهم، فهل فكّر الداعون إلى تغيير الكتابة العربية فى هذا؟! مع أن الآداب التركية لا تقاس بالآداب العربية، والخسارة فيها لا تذكر فى جنب الخسارة التى تصيب العرب والمسلمين عامة إن غيّرت الكتابة العربية.

عبد الوهاب عزام

عمل نبيل

اتفق لتاجر من تجار لندن أن يقضى يوم عطلته الأسبوعية مع صاحب له فى إحدى قرى الريف.

فلما أخذا بأطراف الحديث جاء اتفاقاً ذكر أوراق النصيب السنوى وجائزته الكبرى. فقال التاجر اللندنى لصاحبه الريفى: سوف أشترى العام القبل ورقة من أوراق السحب الكبير. فاقترح عليه صاحبه أن يشترى له ورقة [illegible] حظه. ثم انقضى اليوم: وعاد اللندنى إلى مدينته، وبقى الريفى فى قريته.

[illegible] النسيان ذيله على كل ما دار من حديث، [illegible] وإذا بالريفى يفتح عينيه ذات صباح على كتاب وصل إليه من صاحبه ينبئه أنه ربح الجائزة الكبرى وقدرها عشرون ألفا من الجنيهات.

فطار إلى لندن وحصل على الجائزة، ثم سأل صاحبه: كيف لم تخبرنى أنك اشتريت لى تلك الورقة؟! فقال له: لقد اشتريت ورقتين فى يوم واحد، ووضعتهما معا فى درج من أدراج مكتبى، ونسيت أمرهما ولم أفكر فيهما.

فسأله صاحبه: وكيف ميزت بين الورقتين؟ ولمَ أكون أنا صاحب هذا الحظ السعيد؟ ولمَ لا تكون أنت الرابح؟ فقال اللندنى: إنى وضعت على الورقة التى قصدت أن تكون باسمك علامة بالمداد؛ فلما راجعت أوراقى ألفيتها الورقة الرابحة.

وبعد، فإن هذا عمل ينطوى على النبل الذى ليس بعده نبل. وهو مثل أعلى للجمال الخلقى الذى يبعث أعمق السرور مما تضفيه مظاهر الجمال العليا للخلق فى هذا العالم.

حول رجال العلم ورسالتهم :

صوت العمال وصداه

للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني بك

في العدد ٢٨٥ تناولنا الكلام عن رجال العلم ورسالتهم في المجتمع ؛ وفي العدد الماضي (٢٨٧) تناولنا الكلام عن رجال العلم ورسالتهم في مصر . وكنا نظن أن الذين يهتمون بما جاء في هذين المقالين هم أولا — رجال العلم ، لاسيما المشتغلون منهم بالتأليف أو بالبحث ؛ وثانياً — الرجال المتصلون بالصناعة والذين يهمهم ترقيتها في مصر ، وبناؤها على دعائم قوية ؛ وثالثاً — قادة الرأي الذين يوجهون السياسة العامة ، لاسيما ما يتصل منها بمجهودات الحكومة المصرية التي تعود على الشعب بالمنفعة الصحية والمالية ورفع مستواه بوجه عام ؛ ورابعاً — رجال الاجتماع الذين يهمهم درس النظم الاجتماعية والبحث في مصر عما يصح أن يوضع من الأسس التي ينتظر أن تقوم عليها النظم المستقبلة لتكون أدنى إلى الاستقرار ، وأقرب إلى إسعاد البشر ، وأدعى إلى ضمان السلام

هذه الطوائف وأمثالها هي التي كنا نطمع أن نظفر باهتمامها بالآراء التي أبديت في المقالين المشار إليهما ؛ ولكنه قد تبين لنا أن هناك طائفة أخرى تهتم بها ، طائفة لا نكتم القراء أننا لم نكن ننتظر منها هذه العناية بالمسائل العلمية وتتبعها والإقبال عليها إلى هذا الحد ، ألا وهي طبقة العمال .

عرفنا ذلك من خطاب حمله إلينا البريد فقرأناه مغتبطين ، ورأينا أن ننقله إلى القراء بنصه ليطلعوا عليه ويشاركونا الغبطة بما حواه من آراء ، وبما ينم عنه من نهضة فكرية وعلمية واجتماعية بين الرجال الذين ينتظر أن تقوم الصناعة على أكتافهم . وإليكم نص الخطاب :

تحية خالصة وتمنيات طيبة وبعد

فإياكم إياكم أن يشغلكم أمرما ، مهما جل ، عن الوفاء بما وعدتمونا في بحثكم التي طالعتم بها جمهور قراء (الثقافة) القراء بالعدد ٢٨٥ .

سيدي الأستاذ :

إن في طبقة العمال المصريين الآن آلافاً يتقنون القراءة والكتابة والحساب ، فيمكنهم أن يسايروا الحركة الثقافية الآخذة في النمو ، لكن لا أظن أنكم ممن يرضيهم أن يترك الأمر لمحض الصدف والرسميات « أقصد مكافحة الأمية » البطيئة .

إن طوائف كثيرة من العمال قد انتظمتهم نقابات وجمعيات تعاونية ، وهناك منشآت ومصانع و ... و ... تضم جماهير من العمال ، فمن الميسور أن ينظم دعاة الإصلاح والأدباء والمهندسون محاضرات تبسط الآراء الاجتماعية والعلمية والأدبية ، وترقى وعيهم تدريجياً على

صوت التجارب

يا سيدي الأستاذ :

إن الحضارة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وروسيا واليابان والصين وغيرها ، ذات ألوان يجب أن نعرفها جميعاً .

وإن الأنباء كثيراً ما تفاجئنا بمستحدثات ومكتشفات ، فيجب أن نعرف ما يمكن أن نعرفه من العارفين بها قدر المستطاع .

وإن مصر لمقبلة حتماً على انقلاب في الأوضاع ، وعلى نهضة صناعية ، فيجب أن نعد أنفسنا لمواجهة هذه الحال . يعوزنا أن نعرف صلة العلوم الكيميائية بالتعدين ، والميكانيكا بالكهرباء ، وما كنه الضوء والصوت ؟ وما مدى التأثيرات المختلفة والتفاعلات النفسانية المتباينة في تكوين شخصيات الأفراد والأمم ؟

ومَنْ لهذا ؟ ومن لنا ؟ غيركم أنتم وأمثالكم من

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

قادة أو مشعل الثورات الفكرية والاجتماعية يا أستاذ ؟!

ادفعوا ، زجّوا ، استحثوا ، احملوا !

إننا غرقى فانتشلونا ، وحيارى فاهدونا ، وضالّون فاهدونا . خذوا بيدنا ، احملوا المشعل أمامنا ، وإلا فثقوا أن فى هذه الأمة من يعرف من هو الذى يعمل وما ذا كان يعمل ؟ وإن برامج التعليم التى تشغلكم لا تكفى فى نظرنا أن تكون العذر لكم

وتقبلوا كل احترامنا ؟

[عن العمال الأحرار]   محمد عبد الرحمن السبكى
ميكانيكى بورشة جراج مصلحة التنظيم بالمبابة

* * *

فمن منا لا يطرب لقراءة هذا الخطاب الذى يحمل فى ثناياه البشير بأننا مقدمون على عهد جديد ، وأن نهضتنا نهضة قوية ، وأن نتائجها ستكون بحمد الله باعثة على الأمل ، ومحققة لما نبتغيه من إصلاح ، بشرط أن يعمل على النهضة من يتعهدها بحكمة ، ومن يوجهها فى الطريق المستقيم ، ومن يتتبعها ويوالى توجيه الرأى العام وأولى الحل والعقد إلى واجباتهم نحوها .

وأول ما ينم عنه هذا الخطاب هو تأييد ما ذكرناه فى المقال السابق ، من أن عدد القراء الذين يهتمون بالمسائل العلمية قد تضاعف حديثا ، وأنه كلما ازداد اهتمام رجال الصحافة بالمسائل العلمية ورجال العلم بتبسيطه اتسعت دائرة القراء وكثر عددهم وارتفع مستواهم ، مما يمكن رجال العلم ورجال الصحافة أن يزيدوا مقدار ما ينشرونه عليهم من المسائل العلمية ، ويتدرجون فى التعمق فى تلك المسائل .

ومن يدرى ؟ فلعل هذا يقربنا بتوالى الأيام وموالاة الجهود ومضاعفة الاهتمام — يقربنا إلى حد ما من الحالة التى وصفناها فى روسيا .

وصاحب هذا الخطاب لا يكتفى فيما يتعلق بحث الجمهور المصرى على رجال العلم ، بما ذكرناه فى مقالنا من وجوب متابعة الكتابة فى المسائل العلمية فى الصحف والمجلات ، والمضى فى تنمية المكتبة العلمية بنشر الكتب المبسطة . وإنما يقترح علاوة على هذا طريقة أخرى من طرق نشر العلم ، وهى أن ينظم دعاة الإصلاح محاضرات تبسط الآراء الاجتماعية والعلمية والفنية .

ونحن ، ولاشك ، نقره على رأيه هذا ، ولكن نذهب إلى أبعد مما يرجوه ، فقد علمتنا التجارب أن سلاسل المحاضرات التى ينظمها هواة نشر العلم من رجاله على تلك الصورة لا يرجى لها الاستمرار ، كما أنه يصعب ترتيبها بحيث تصير سلسلة متصلة الحلقات يتلو بعضها بعضاً بانتظام واطراد وتقدم . فهى إذن فى ذاتها مفيدة وضرورية . ولكنها ليست وسيلة عملية لتحقيق الغرض الذى يرمى إليه صاحب الخطاب .

أما الكفيلة بتحقيق هذا الغرض ، فهى فى رأينا أن يعهد بهذه المهمة إلى الهيئات التعليمية الفنية ، فهذه هى التى يجب أن يكون من صميم عملها ترتيب محاضرات متسلسلة ومتدرجة فى الصعوبة ، ومتنوعة فى الموضوعات النظرية والعملية . وتلقى تلك الدروس فى المساء مرتين أو ثلاثاً فى الأسبوع على أولئك العمال النابهين ، الذين وهبهم الله الاستعداد العقلى لمتابعة الدراسة ، واستشعروا فى أنفسهم رغبة ملحة وإقبالا عظيما على مثل تلك الدروس ؛ فهؤلاء يستفيدون منها أكبر فائدة ، وهى كفيلة بأن توصل القادر من مستمعيها إلى مستوى من العلم لا بأس به ، وقد تصل بالنابهين منهم إلى أرقى درجات السلم العلمى النظرى أو العملى .

وهذا الرأى لا ندعى ابتكاره ، وإن كنا نؤمن به من زمن بعيد ، ولكن قد سبقنا إلى المناداة به أول مرة المستر مان الخبير الإنجليزى ، الذى استقدمته الحكومة المصرية فى سنة ١٩٢٩ مع الخبير الآخر السويسرى لتسمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراءها في حالة التعليم بمصر ومقترحاتهما على خير الطرق لإصلاحه والنهوض به. كما أن هذا النظام – إعداد دراسات فنية تكميلية للعمال من كل صنف – معمول به في جميع البلاد الأوربية، وتقوم به الحكومات والهيئات العلمية والشركات والمصانع، وبعض النقابات حسب الظروف المحلية في مختلف الأحوال.

فالإجماع إذن معقود على أن العامل يجب ألا يُهمل، بل يجب أن تتاح له الفرصة لإتمام تعليمه، فالعلم لا نهاية له، والرغبة في تلقيه لا حد لها. ومن أخص واجبات رجال العلم أن يتعهدوا كل راغب فيه، وأن يزودوه بالقسط المناسب والقدر اللازم، لكل حسب حاجته واستعداده ونوع العمل الذي يزاوله.

ومَن أحق بتلك العناية من العامل الموهوب مثلاً الذي يقوم بصنع بعض الآلات أو بعض الأجزاء، ويتشوق لمعرفة الأسس العلمية التي تبنى عليها العمليات التي يقوم بها، ويندب حظه لأنه لم تتح له الفرصة في صغره بسبب دخول معترك الحياة العملية لأن يتلقى شيئاً من الأسس العلمية والقواعد النظرية؟! هذا العامل إذا وجد فرصة لتلقي تلك الدروس التي تتوق إليها نفسه، أقبل عليها والتهمها، وحصل منها في الشهر الواحد ما يحصله الطالب العادي في سنة كاملة.

ولا يقتصر الأمر على استفادة العامل من الناحية الشخصية وسروره باكتساب المعرفة، وتلذذه من الاطلاع على الحقائق العلمية؛ وإنما يؤثر هذا العلم الجديد في عمله وإنتاجه، وذلك لأنه يصير أثناء العمل مفكراً لا مجرد آلة كما كان من قبل، ولا نزاع في أن هذا يؤدي إلى ترقية صنعته، كما أنه قد يؤدي إلى نقده لبعض الأساليب والطرق، مما قد يصل به إلى اقتراح أو ابتكار يكون نتيجة مباشرة للتعليم الجديد الذي يحصله.

* * *

على أن الذي يعيد قراءة الخطاب الذي نشرناه يجد فيه طموحاً كبيراً. انظر إلى قوله: «يجوز أن تعرف صلة العلوم الكيميائية بالتعدين والميكانيكا بالكهرباء، وما كنه الضوء والصوت، وما مدى التأثيرات المختلفة والتفاعلات النفسانية المتباينة في تكوين شخصيات الأفراد والأمم».

فالعمال يطلبون دراسة حديثة منوّعة، يبتغون من ورائها الوصول إلى أصول العلم، وإلى تفهم الحياة، وإلى تفهم الإنسان نفسه وكيفية تكوينه وخلق شخصيته؛ وهذا لا يتأتى إلا بدراسة فنية منظمة، تقوم بها كما قدمنا المدارس الفنية ومختلف الهيئات الفنية التي تضم رجال العلم والصناعة، تحت إشراف الحكومة.

وبعد، فإنا نرجو وزير المعارف، الذي أفرد لتعليم الكبار جزءاً من تقريره عن إصلاح التعليم في مصر، أن يعير هذه المسألة اهتمامه وعنايته. ولئن كان قد اختار للأسباب التي ذكرها في تقريره أن يحيل أمر تعليم الكبار بصفة عامة على وزارة الشئون الاجتماعية، فإن هذه الناحية من تعليم الكبار بصفة خاصة تعليم العمال يجب أن تقوم بها وزارة المعارف نفسها، فهي التي تعنى بثقافة العامل وتشرف عليها، وهي التي تعرف رجال العلم والفن، وتستطيع اختيار الأفراد الصالحين لهذه المهمة الخطيرة التي نحن بصددها، وهي التي تستطيع توجيههم ومعاونتهم في رسم الخطة وإحكام التنفيذ.

وليس معنى مناشدتنا لمعالي الوزير أن يهتم بهذه المسألة أننا نرى إلقاء العبء كله على وزارة المعارف، بل إن جميع الهيئات العلمية والنقابات وأصحاب المصانع والشركات ورجال الأعمال كل هؤلاء مطالبون بأن يؤدوا واجبهم من هذه الناحية، نحو أولئك المتعطشين للعلم، الذين يطالبون الهداية ويستحثون القادة على أن يحملوا المشعل أمامهم لينيروا الطريق لهم، وأن يدلوهم على الطريق الذي يسلكونه ليحقق غايتهم: ألا وهي الوقوف على أسرار الكون، واكتساب الخبرة والمران العلمي الذي يجعلهم صناعاً مستنيرين يسايرون الحركة العلمية والصناعية الحديثة.

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

رسائل صينية

الرسالة الخامسة

عندما بدأ اتصالي بالغرب كان أقوى ما أثر في وأسرعه ، هو طبيعة ذكائكم ومستواه ؛ فقد ظهر لي كيف أن عقولكم استطاعت في نجاح أن تتعرض لمسائل ومشاكل ما كانت لتدور بخلدنا نحن في الشرق . لقد وصلتم بالتجربة حيناً ، وبالتحليل حيناً آخر ، إلى معرفة أسرار تفاعل القوى الطبيعية ، ثم استخدمتم هذه القوى بطرق يدهش لخيالي الفقير أنها تكاد تكون معجزة . ولم ينقص الاعتياد شيئاً من إعجابي بما وصلتم إليه في هذا المضمار ، فأنا أدرك كل الإدراك أن هذا أهم ما يخول لكم ادعاء الأفضلية علينا ؛ بل إني لست أعجب أن أجد من بين خير أذكيائنا من يجد في [illegible] في حماس من إدخال هذه الأساليب [illegible] وإني وإن كنت أشعر بما يشعر به [illegible] تحمس للصالح العام ورغبة في الخير ، فإني في الوقت نفسه عاجز عن أن أؤيد سياستهم تلك . ولعله من الأفضل أن أبين هنا الأسباب التي قادتني إلى هذه النتيجة ، فهي نتيجة تلوح لأول نظرة أنها متناقضة .

وأبادر فأعترف بأن وجهة نظرى الأولى قد تغيرت بدراسة تاريخكم طوال القرن الأخير ، وبالتعرف القريب ببناء مجتمعكم . إن هذه الدراسة وهذا التعرف قد علّماني أن أبرع الاختراعات وخير الوسائل في استخدام العبقرية المخترعة لا تكفيان وحدهما في صلاح المجتمع . إن ذكاءً قد ركّز تركيزاً خالصاً لإنتاج آلات توفر على الإنسان جهده ، قد يقود — بما يقلقل في النظام الصناعي — إلى الشر أكثر مما يقود — بما ينتجه من ثروة — إلى الخير . لأن نماء الثروة أو توفر أسباب الراحة ليس فيما أرى خيراً خالصاً في نفسه . إن الأمر كله يتوقف على طريقة توزيع الثروة ، وعلى ما يترتب عليها من آثار في كيان الأمة الخلقي . وهذا هو الاعتبار الذي يحملني آسى وأتألم كلما نظرت إلى مشروع إدخال النظم الغربية في الصين . وها كم مثلاً يوضح لكم وجهة نظرى خير إيضاح . لقد رأينا عندما بدأنا إنشاء أول سكة حديدية في الصين تصل بين تيانسن وبيكين ، أن المشروع قد أثار في أهل المنطقة مقاومة سرعان ما تطورت إلى هياج وثورة ؛ وكُسّر الخط وهُدمت الجسور ، وأصبح الاستمرار في العمل مستحيلاً . فلم نبعث إلى الثوّار بقوة من الشرط تحافظ على الأمن ، وإنما أرسلنا إلى المنطقة حسب تقاليدنا في الصين موظفاً ليتفاهم مع الثوار أنفسهم ويتبين وجهة نظرهم ؛ وكانت وجهة نظرهم كانت في الحال دائماً سليمة معقولة . إنهم قوم يكسبون عيشهم من الملاحة النهرية ، فهالهم أن الخط الحديدي [illegible] الوسيلة التي يحصلون بها على قوتهم ، وأن [illegible] الحال عداة مطالبهم ، وقدمت إليهم [illegible] إلا [illegible] ملاحتهم النهرية أى [illegible] من هذا المشروع . وبهذا انتهى الشر وهدأ الاضطراب والقلق . إن هذا الحادث وحده لكاف ليبين الأسلوب الذى نعالج به مثل هذه المشاكل في الصين . أما الإنجليز الذين رويت لهم هذا الحادث فإنهم جميعاً دون أى استثناء قد أنصتوا إليه وعوامل الدهشة حيناً والحنق حيناً آخر تتناوبهم ؛ فلقد بدا لهم مريباً فظيعاً أن تجيز الحكومة مثل هذه المظاهر من الشعب أى التفات . إنهم لا يتكلمون إلا في قانون العرض والطلب في مسألة استنفاد الإنتاج استنفاداً كاملاً في المنافسة والتقدم والحركة وطول المدى ؛ وإني لأنصت إلى كلامهم هذا في شيء قل أو كثر من الفهم والموافقة ، ولكن ما من شيء من كل هذا يمنعني من أن أرى ، بل من ألا أزال أرى الحقيقة . إن اتباع هذه الأساليب الغربية الحديثة في الحياة معناه ، إلى الآن

على الأقل ، مقدارٌ ما من التقلقل فى الصناعة ومقدار غير قليل من الفقر والعــذاب والتضور جوعاً . وتاريخكم الصناعى نفسه ملىء بالبراهين على ما أقول . ولست أملك أن أتحفظ إلا ، والأسى علؤنى وخيبة الأمل تغمرنى ، أنكم طوال هذه السنوات التى قضيتموها كلها فى محاولة إتقان قدرتكم الآلية ، لم تستطيعوا ، بل إنكم حتى لم تحاولوا ، والذى لا شك فيه أنكم لم تحاولوا فى نجاح ، أن تخترعوا أية وسيلة تمحون بها الاضطراب والشقاء والتعاسة التى ابتليتم بها جمهور العمال من قومكم . وليس فى هذا ما يثير العجب فى الواقع ، فمن عادتكم دائماً أن تجعلوا الحياة فى الرتبة الثانية بعد الثراء . ولكن ليس فى هذا فى الوقت نفسه ما يشجع الرجل الصينى على أن يقدم على اتباع أساليبكم تلك . وأنا على الأقل لا أستطيع أن أتأمل هذا إلا وأنا مدرك كل الإدراك هذه الاضطرابات التى ستترتب حتماً ، وستقع فعلاً فى شعبنا المؤلف من أربعمائة مليون نسمة من جراء تعميم الأساليب الصناعية الغربية فيه ، ستقولون إن الاضطراب موقوت ، ولكن يبدو لى أنه مزمن عندكم فى الغرب . فإذا تركنا هذا جانباً ، فهل لكم أن تأذنوا لى بسؤالكم عما إذا كنا سنكون نحن الفائزين ؟ أما بالنسبة إليكم فالفوز ظاهر ملموس ، وكذلك ستكون التجارة بالنسبة إلينا ، ولكن ما هــذا الذى سنجنيه بالفعل ؟ إنه لسؤال سخيف فيما يبدو لكم ، ولكن اغفروا لصينى أن يراه هاماً . ستجيبون أننا سنجنى ولا شك ثراءً ، وقد يكون ذلك حقاً ، ولكن ألسنا سنفقد فى سبيله الحياة ، ألسنا سنصبح مثلكم ؟ وهل تنتظرون منا أن نتطلع إلى مثل هذا المستقبل فى سكون بارد واطمئنان هادئ ؟ ما هى مميزاتكم ؟ ألا تخبرونى ! إن قومكم قد تيسرت لهم ولا شك بعض خيرات الحياة الثانوية ، إنهم يأكلون أكثر منا ، وكذلك يشربون وينامون ، وإلى هنا ينتهى امتيازهم ؛ ولكنهم أقل منا بهجة ، وأقل قناعة وأقل نشاطاً ، وأقل ليناً ؛ أما أعمالهم فأقل ملاءمة للصحة ، صحة الجسم والعقل معاً . إنهم محتشدون فى المدن والمصانع ، وقد طلقوا الطبيعة وحرموا متعة امتلاك الأرض . لقد قررت ذلك من قبل وأوضحته ، ولكنى أعود إليه هنا لأفسر لكم موقفاً قد يبدو متناقضاً ، موقف هذا الذى يعجب إعجاباً خاصاً بما وصل إليه الذكاء الأوروبى ، ولكنه يشك فى الوقت نفسه فيما إذا كان هذا الذكاء قد استخدم خير استخدام ؛ بل إنه ليتساءل على الأقل : أليس هــذا الذكاء مقصوراً على ناحية بعينها قاصراً فيما عداها ، بحيث أصبح أهلاً لأن يأتى بشر يوازى ما قد أتى به من خير ؟ قد تصلون ، وهذا ما أومن أنكم ستفعلون ، إلى إصلاح هذه الحال ، فتبرهنون أنكم أهل لأن تنظموا حياة الإنسان بنفس العبقرية التى نظمتم بها قوى الطبيعة وسيطرتم عليها . ولكن ، إلى أن يجىء ذلك الوقت ، أرى ، فيما أظن ، أننا معذورون فى أن نتردد فى اتباع أساليبكم الغربية وإن كنا نعجب بها كل الإعجاب ، ونوقن أن قسماً من المزايا التى يمكن أن نصل إليها من هذا السبيل ستدفع ثمنها هذا الاضطراب الذى صاحب أساليبكم أينما اتبعت .

وهنــاك مسألة أخرى تشغل تفكيرى ، إن تكن أقل اتضاحاً فهى ليست أقل خطراً . لابد فى كل مجتمع من أن ينهمك مجموع الناس فى الأعمال الآلية ، ومجتمعنا فى هذا لا يقل عن مجتمعكم ، وهو بلا شك لا يزيد عنه ، ولست أرى إلى الآن أن أى تغيير قد طرأ على هذه الحــال بتدخل الآلة فى المجتمع . ولكن فى الوقت نفسه يجب أن يوجد فى كل مجتمع جماعة من الرجال قد أعفوا من هذا العمل الآلى ليكونوا أحراراً فى أن يكرسوا أنفسهم لغايات أرق وأرفع . ولقد وجدت فى الصــين لقرون طويلة خلت تلك الطبقة من الرجال الذين أفردوا منذ أول الأمر حتى يتابعوا

دراسة الفنون الحرة ، وقد قدر لهم أن يشغلوا وظائف الحكومة . إن هؤلاء الرجال لا يكونون فى الصين طبقة ممتازة بعينها تتوارث هذه الوظائف الحكومية ، بل إن الميدان عندنا مفتوح لكل صبى أيًّا كان مادام قد امتاز بالمواهب المطلوبة والميول اللازمة . وإنى لأرى أن مجتمعنا فى هذا منذ قديم أوفر مجتمعات العالم ديمقراطية حقة . وأنتم تعلقون على نظام التعليم الذى تتبعه تلك الطبقة عندنا تعليقات عديدة ، وتنتقدونه انتقادات شتى . ولست أريد أن أدافع عن هذا النظام هنا . وكل ما أريد تبيانه هو حقيقة واحدة بعينها ؛ إنه بفضل هذا النظام قد دفعنا قومنا من كل الطبقات إلى احترام كل ما يتصل بالعقل والروح ، واستطعنا أن نحافظ فيهم على هذا الاحترام . وإنه لمن الصعب أن نجد لمثل هذا الاحترام شبيهاً فى أوروبا ، بل إنا لا نكاد نجد له أثراً فى إنجلترا خاصة . إن الأدب يحترم فى الصين احتراما يبدو لكم ، لا من حيث الكم ولكن من حيث الكيف أيضاً ، إنه غير معقول ، بل إنه مبالغ فيه على الأقل ، وإن تملك حبياً . فلقد علم شعراؤنا وأدباؤنا أبناءهم لقرون طويلة أن يبحثوا عن الخير لا فى الثروة ولا فى السلطان ولا فى تنوع الحركة وكثرتها ، ولكن فى تقدير أبسط علاقات الحياة وأكثرها شيوعا بين الناس تقديراً راقياً ممتازاً دقيقاً .

أن نشعر ولكى نشعر حقاً أن نعبر ، أو على الأقل أن نفهم تعبير كل ما هو جميل فى الطبيعة وكل ما هو صارخ أو رقيق من الإحساسات البشرية ، إن هذا فى نفسه لغاية أى غاية . إن الزهرة فى الحديقة المقمرة ، وظلال الأشجار على العشب ، وزهر اللوز وقد تفتح ، وعبير الأرز وسحر الخمر والقيثار ، إن هذه كلها ، وعَبْرة الحياة والموت ، والضمة الطويلة الحارة ، واليد التى تمتد فى الفضاء إلى ما لا تستطيع أن تصل إليه ، واللحظة التى تمر بما حملت معها من نغم ونور فتتلاشى فى أطياف الماضى السحيق ، إن كل ما نملك وما لا نستطيع أن نملك من طير الطائر وعطر النسيم ، إن هذا كله قد تعودنا فى الصين أن تهتز له مشاعرنا ، وأن نستجيب له ، واستجاباتنا تلك هى ما نسميه أدبا .

إننا نملك كل هذا ، وأنتم لا تملكون أن تعطونا شيئاً منه ؛ ولكنكم واحسرتاه ، تستطيعون فى يسر أن تحرمونا منه ! إن ضجيج الأنوال والعجلات ليخرس كل هذا الجمال ، ودخان المصانع يحجبه ، والحياة الغربية فى اندفاعها الجنونى تقتله !!

وعند ما أتأمل رجال الأعمال منكم هؤلاء الذين تعجبون بهم أيما إعجاب ، عند ما أراهم والكد يطحنهم طحناً ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، بل عاما بعد عام ، وهم غارقون فى عمل قد فرض عليهم فرضاً ، فلا هو يسعدهم ولا هو يغنيهم ؛ عند ما أراهم يحملون هموم اليوم معهم إلى ساعات راحتهم الشحيحة القصيرة ، وهم يقلقون لا من الجهد والكد ولكن من الهموم الثقيلة الحقيرة ؛ عندئذ أنظر بعين ملؤها الرضا إلى العمل الآلى البسيط الذى تفرضه علينا صناعتنا ، عندئذ يرتفع فى نظرى درجات فوق طرقكم الحديثة الخطرة قدر تلك الطريق الممهدة ، التى ألفتها أقدامنا من كثرة ما اعتادت السير فيها ، إنها تتيح لنا ونحن نجتاز مشاقها الفرصة لأن نرفع من أبصارنا نحو السماء ، لترى نجومها الأزلية .

دكتورة سهير القلماوى

إلى حضرات المشتركين

حددت إدارة مجلة الثقافة يوم ١٥ يوليه سنة ١٩٤٤ آخر موعد لتسديد النصف الثانى من الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ فالرجو من حضرات المشتركين مراعاة ذلك .

الإدارة

ARCHIVE

أولئك شعراؤنا

صيد من بلاد الشام

١ — خير الدين الزركلي

كان زادى اليوم، عواطف لاهبات، تصعّدت كالأريج العاطر، من قلب حيّ شاعر. لقد سحرنى خير الدين، وساقنى إلى دنيا ملؤها الحب والوفاء، فأطربنى بمليح نغمه وطريف نظمه. ولعله أول شاعر فحل فى سورية، أوتى رقة الطبع، وفخامة المبنى، ورقة المعنى، وجودة السبك. ولقد أثرت فىّ، من شعره، ناحية ذات شأن، هى تمجيده وطنه والتغنى بجماله، والبكاء على جنانه، والرثاء لمصابه. ولحتُ فى شعره الباكى صفحة من صفحات المآسى التى مرت على سورية؛ وأرثى لصفحة ملأى بالتعذيب والتحريق والخسف والقتل والظلم. يزداد شعر خير الدين أثير آلام الماضى فى نفس خير الدين، وأذكره بروع البين، وحنين الغريب، وأخذت تهفو نفسه إلى هذه الأرض الرشيقة الغانية التى تغنى بها، ويصفق قلبه إلى الغوطة الفتانة البسامة التى عشقها.

وقد يحن إلى صحبه الذين قاسموه المودة وأحبوه، وقد يحن أيضاً إلى الناس الذين أحبوا به ولم يروه؛ أولئك الذين فتن قلوبهم رائع شعره، وقوة حنينه، وحرارة بكائه، فأصغوا إلى أنّاته الناعمات، التى تتمثل فيها أنين سورية المعذّبة بالفجيعات والنكبات.

لقد لقبوا خير الدين «بلبل النيربين»[1]. أكرم بهذا اللقب. ولو كنت يوم لقبوه، لسميته «شاعر الوطن». إن الذى ينادى، ويشكو، ويشيد بجمال بلاده، ويتغنى برياض أوطانه، ويبكى مصابها، ويواسى جراحها، ويخفف آلامها، ويستنهض الهمم لإنقاذها، لجدير بأن يسمى شاعر الوطن. وعندى أن شعره فى وطنه، من أروع الشعر وأحلاه.

شعر غنائى رقيق، يصدر من قلب شديد الحساسية، سلس يتدفق بماء الطبع والحياة، صاف رقاق الصفاء، يزينه اللفظ الحلو، والسبك الجيد؛ شعر رومانتيكى فيه حنين وأنين، يحرك ويستدر دمعك؛ أنات غريب ترك الأهل والوطن. وغابت من عينيه مرابع الأهل ومغانى الوطن، فقلبه مضطرب كاليمّ خافق، يمسى مدلّهاً حيران، ويبيت مؤرقاً أسوان؛ تطوف به طيوف الوطن البعيد، تموج بالعطر والطيب، وتزهو بالحسن والجمال.

استمع إليه يقول:

العينُ بعد فراقها الوطنا	لا ساكناً ألفت ولا سكنا
ريّانة بالدمع أقلقها	ألا تحس كرى ولا وسنا
كانت ترى فى كل سانحة	حسناً، وباتت لا ترى حسنا
ليت الذين أحبهم علموا	وهمو هنالك، ما لقيتُ هنا
ما كنت أحسب أن بعدهم	حتى تفارق روحى الوطنا!

هذا الشعر بعاطفته الرقيقة؛ شعر صادق، لا تكلّف ولا تصنّع؛ شعر يذكرك حنينه بشعراء الطوّافين من أهل الصليب، وهم يحنون إلى الوطن البعيد. لقد كانت عيناه ترعيان الحسن كل يوم، وكان فى دنيا كلها جمال؛ ثم مضى... وبات لا يرى حسناً؛ ثم حن واشتاق، وتمنى أن تعلم أحبّته ما يلاقى من شوق وهوى.

إنى لأذكر — الآن — كيف بكى ذلك الطفل، وأنا أقرأ شعر خير الدين. كنت يومئذ مدرّساً، وكنت أنتقى من شعر خير الدين ما يحفظ التلاميذ، فإنى لماض ذات مرة فى شرح هذه الأبيات، أردد بيت التمنى، هذا البيت الذى يحوى التلهف، والحب، والألم، والحسرة، والشوق؛ إذ بى أرى طفلا يترأرأ الدمع فى عينيه..!

وسألته لِمَ تبكى يا بنىّ؟

قال: مسكين هذا الشاعر.. ما صنع بنفسه وبأهله!

(١) النيربان

وكيف استطاع أن يترك وطنه ... ؟!

وعلمت يومئذ سحر هذا الشعر ، بعد أن أبكى الصغار ، وفتن الكبار .

لقد أراد خير الدين أن يعلم أحبته ما يلاقيه . ألا رحمة للشاعر الغريب كيف يتمتع بالعيش ؟! ... لا ! لن يتمتع وربّات ، وهيهات ، مهما أرسل نفسه في المتع والنعميات ، أن يجد راحة القلب وهدوء البال . ستبقى في قرارة نفسه حسرة ، حسرةٌ تهيج كالنسمة اللطيفة من حين إلى حين ، فتورثُ الحنين الشديد إلى البلد الحبيب . وعندئذ تتمثل له صور وطيوف ؛ وتتراءى لعينيه قصور ، ورياض ، وزهور .. فيبكي . إن أبسط شيء قادر على أن يهيج هذه الحسرة .. عصفور صغير .. قد يثير الشجو .. ويستدر الدمع :

يا طائراً غنّى على غُصُنٍ والنيل يسقي ذلك الغُصُنا
زدني وهيّج ما شئت من شجني
إن كنت تعرف مثل الشجنا

أذكرتني (بردى) وواديه والطير [illegible]
وأحبة أسررت من كلفي وهواي [illegible] لا تجد [illegible]
كم ذا أغالبه ويغلبني دمعٌ إذا كفكفته هتنا
لي ذكرياتٌ في ربوعهمُ هن الحياة تألقاً وسنا

ذكرياتٌ هنّ الحياة ! لله درّك يا أبا غيث ! هل الذكريات غير قطع ضاحكة أو عابسة من ماضينا . ذكريات تكون نعيماً يتلفت إليه القلب ، أو جحيماً تشمئز منه النفس . لكن ذكريات شاعرنا في ربوع أحبته يتألقن ويرفهن ، أفيطيق شاعرنا بعد هذا أن ينسى دمشق ، زنبقة الصحراء على قول أنور العطار .. فلا يبثها حبه وهواه ؟

أنا في هواك ، كما يشاء هواك لي
كَلِفٌ بحبك ، يا دمشقُ ، ودود
ولقد هجرتُك حين ضاق بك الأذى
ما للأباة على الهوان قعودُ
أقصيتُ عنك — ولو ملكتُ أعنتي
لم تنبسط بيني وبينك بيدُ

أترينها الأيام تجمعُ بيننا ؟ وترى عهد صفائها سيعودُ
أتضمنا بعد الشتات خمائلٌ ريّانة ، وأزاهر ، وورود ؟

فليس من العجيب ، وهذا حبه ، أن يظل متوجعاً ، متفجعاً كاسفاً . لا تصيب بلاده نائبة إلا وصفها ، ولا تشكو ألماً إلا خفف عنها ، لما يشعر به نحوها من حب أكيد ، وشوق إليها شديد ؛ وكأن هذه المصائب التي تنزل بها ، تنزل به هو أيضاً ، حتى إذا ضاقت نفسه ، وذاب جسمُه ، وتصدّع قلبه ، نادى الزمان ...

متى ترى ، تبسم لي ، يا زمان ألا حنان
أسلمتني ، لا أنسَ لي ، لا أمان للحدثان
عيناي ، لما تبرحا ، تجريان نضّاختان
أبكي ربوعاً ، لا تطيق الهوان رهن امتهان
أبكي دياراً ، خُلِقت للجمال أبهى مثال
أبكي تراث العز ، والعزُّ غال صعب المنال
أبكي نعيماً ، قعدت بالرجال عن النضال
[illegible] ، كيف استحال إلى خيال

يا زماني ، وحنـان الرحاب آضت يباب
ما لبنيها ، كلهم في اكتئاب أسرى عذاب

ضاعت بلادي ، يا زمن الصغار والانتصار
الناس يبنون ، وما في الديار غيرُ الدمار

متى ترى ، تبسم لي ، يا زمان

فهذه قطع من قلب شاعر ، قطع حيّة ، يردّدها الناس ، لأنها أنات سورية في يوم من الأيام .

* * *

يا أبا غيث ! إن دمشق التي هزّها بكاؤك في أيامها السود ، تتلهف إلى غنائك في أيامها البيض . وأرجو ألا تلهينّك القاهرة العظيمة عن دمشق التي كلفت بها ، وعنيت نفسك — من أجلها — بالوعود .

دمشق فؤاد

برج بابل

في الإصحاح الحادي عشر من السفر الأول من أسفار التوراة، نقرأ رأياً خاصاً باللغة وأصلها، لا من حيث هي توقيف روحي، أو اصطلاح وتواطؤ، بل من حيث إنها ترجع إلى أصل واحد أو أصول متعددة. فالتوراة تقرر أن لغات العالم ترجع إلى لغة واحدة، وهي اللغة الأم، ثم تقص علينا قصة جميلة حول السبب الذي أدى إلى هذا التنوع في الأجهزة الصوتية والتعدد في اللغات. فهي تحدثنا عن قصة من القصص السامي القديم الذي رددت صداه الآداب العالمية والديانات السماوية، أعني قصة «برج بابل»؛ فهي كما يدل عليها اسمها ليست عبرية، بل بابلية، وإن كانت التوراة قد صاغتها في أسلوب يختلف بعض الاختلاف عن الأصل البابلي. فهذا البرج الذي كان أول الأمر من مستلزمات المدينة لحراستها والدفاع عنها، والذي أصبح فيما بعد مقترناً بالمعابد كالمآذن اليوم بالمساجد، وأبراج النواقيس بالكنائس، أصبح في التوراة مظهراً من مظاهر اتحاد الشعوب وجمع كلمتها. لكن هذا التآلف الذي قد يؤدي إلى شيء من الغطرسة والكبرياء أغضب الله، فنزل من السماء وبلبل ألسنة القوم، فوقف العمل، وتشتتت الشعوب. وفي عصر السبي البابلي (القرن السادس ق. م.) نجد اليهود يحدثوننا عن القصة حديثاً آخر يختلف بعض الاختلاف عما ورد في التوراة، ويتفق مع ما نعرفه في الإسرائيليات وقصص الأنبياء وبعض كتب التفسير. لكن بينما القصة اليهودية تدعي أن شعب الله هو الشعب العبري لعدم اشتراك جدهم (عبر) في بناء البرج، إذا بالمصادر العربية تقرر أن العربية هي لسان أهل الجنة؛ فالسيوطي يحدثنا في ج ١ ص ١٧ من مزهره: وأخرج ابن عساكر في التاريخ بسند رواه عن أنس بن مالك موقوفاً قال: لما حشر الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحاً، فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا له، فنادى منادٍ: مَنْ جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره واقتصد البيت الحرام بوجهه، فله كلام أهل السماء، فقام يعرب ابن قحطان، فقيل له: يا يعرب بن قحطان بن هود، أنت هو. فكان أول من تكلم بالعربية. فلم يزل المنادي ينادي من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا، حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً، وانقطع الصوت، وتبلبلت الألسن، فسميت بابل، وكان اللسان يومئذ بابلياً.

ولم يقف أثر هذه القصة عند هذا الحد، بل نجدها تذهب بعيداً، فتخرج لفظ — بابل — من معناه الأصلي (باب إيل) أي باب الله، إلى المعاني المتداولة الآن في سائر اللغات السامية الحامية والهندية الأوروبية، وفي الإنجليزية مثلاً Babel — بابل — يدل على معنى Babbele — بابل — في الألمانية، واللفظان يستعملان فيما تستعمل فيه كلمة بلبل — في العربية.

وليست الشعوب السامية هي الوحيدة التي انفردت دون غيرها من شعوب العالم بالاعتقاد في أن لغات البشر ترجع إلى لغة واحدة أصلية؛ فالقصص الصيني يحدثنا أنه كان يحكم تلك البلاد قيصر يدعى (شين هوانغ Schin Hoang)، خضع لسلطانه الإنسان والحيوان والنبات، وحتى الظاهر الكونية المختلفة من مطر وريح، ونور وظلام، وسكون وحركة، كما أنه كان يتصف بكل الفضائل وإرجاع سائر اللغات إلى أصل واحد، وظلت البلاد في رغد من العيش حتى تبلبلت الألسنة، فتغيرت الأحوال واضطربت الأمور. وفي الهند نجد نفس الفكرة تتجلى لنا في صورة شجرة تين اسمها (قانا)، كانت تظل العالم أجمع عند ما كان يتكلم لغة واحدة، وهي لغة الله؛ وحدث أن داخل العجب نفوس القوم، ففكروا في استخدام الشجرة التي بلغت قمتها كبد السماء وسيلة للوصول إلى مكان الآلهة التي غضبت وحطمت الشجرة وتناثرت أغصانها، فخرقت

العادات ، وتنوعت الأخلاق ، وتبلبلت الألسن ؛ أما هذه الأغصان التي كان يبلغ عددها أحدا وعشرين غصناً ، فقد غرست من جديد وتكونت منها الأسرات اللغوية العالمية .

لم يقف اعتقاد العالم القديم في اللغات البشرية عند هذا الحد ، أعني أنها ترجع جميعها إلى لغة أصلية واحدة ، وهي اللغة الأم ، بل نظر إلى اللغة نظرة تقديس وإجلال ؛ فقدماء المصريين اعتقدوا أن الكلمة ربا خاصاً وهو (توت) ؛ كما آمن اليونان بالإله (هرميس) والرومان بيانوس Janus ؛ واعتقد البابليون في (أيا) ، والهنود في (رهما) ، والجرمان في (أودين) ؛ كما أن بعض الشعوب الأخرى — كالهنود الحمر بالمكسيك مثلا — رأت أن اللغة وصلت إلى البشر عن طريق طائر خاص ؛ فاللغة في عقيدة تلك الشعوب توقيف ووحي .

لكن فكرة الإنسان في آلهته تطورت وتغيرت مع مرور الزمن ، كما اندثرت ثقافات وقامت على أنقاضها أخرى تختلف عنها في نظرها إلى الكون وموقع الإنسان من الوجود ، وأخذ يفقد الإنسان تدريجيا إيمانه بتعدد الآلهة والبحث عنهم خارجه ، وأصبح يميل إلى الكشف عن إلهه في داخله . وقد تجلت لنا هذه الفكرة واضحة في المسيحية عند ما نسبت إلى عيسى عليه السلام أنه قال : أنا الكلمة ، والكلمة أنا . فهذا التطور الفكري الذي أدى إلى القول بأن اللغة ليست توقيفاً ولا وحياً ، سبقه تطور آخر في الفنون والآداب تجلى لنا في لغة التراتيل الدينية الرفيعة ، ولغة كبار الكتاب والشعراء ؛ في تلك النصوص نقرأ لغة تختلف عن لغة العامة اختلافا كبيراً ، ولو كانت اللغة توقيفاً لكانت واحدة ؛ هذا إلى جانب كثرة التوارد والترادف والتضاد والشواذ ، وما إليها من الظواهر اللغوية التي تشوه جمال اللغة ، وتجعلنا ننظر إليها نظرة أقل من نظرنا إلى أي تمثال من صنع الإنسان ، وتعتقد في أنها اصطلاح وتواطؤ . وقد رأى هذا الرأي قديما كثير من الفلاسفة ، وعلى رأسهم أرسطو ، كما ناصر الفكرة الأولى آخرون ومن بينهم أفلاطون . وقد استمر النزاع قائما بين المدرستين حتى العصور الوسطى ، إذ انتصرت آراء أرسطو وأصبحت هي الأساس الذي شيدت عليه الآراء المتأخرة حول اللغة وأصولها .

لكن نظرية برج بابل ، التي رددت صداها أساطير الهند وقصص الصين ، والتي كانت العامل المحرك إلى إيجاد تلك الحركة الفكرية حول اللغة وأصلها ، اتجهت بالفكر الإنساني منذ القدم اتجاهاً آخر ، قصد به التثبت من صحة النظرية أولا ، ومعرفة زمن ووطن اللغة الأصلية الأم ثانياً . فهيرودوت يحدثنا أن (بسماتيك) أراد الوصول إلى معرفة اللغة الأم أو أقدم شعب على الأرض ، فأمر بإحضار وليدين ووكل أمر العناية بهما إلى أحد رعيانه ، وحذره من أن ينطق أمامهما بلفظ واحد ، كما أمر بوضع الوليدين في مكان بعيد لا يصل إليه صوت بشر . وكان هذا الراعي يزود الطفلين في أوقات مخصوصة ومعه ماعز لإرضاعهما . وبعد مرور عامين دخل عليهما الراعي فوجدهما يركضان صائحين (بيكوس) (Bekos) ؛ فأخبر الراعي بسماتيك الذي أمر بإحضار العلماء إليه ، وعرض عليهم هذا اللفظ ، فظهر أن مدلوله « خبز » في لغة أحد شعوب آسيا الصغرى المعروف بالشعب الفريجي ، فاستدل من ذلك على أن الشعب الفريجي أقدم الشعوب ، كما أن لغته أقدم اللغات . ونفس هذه التجربة التي قام بها فرعون مصر بسماتيك نجدها تتكرر في العصور الوسطى ، فالتاريخ يحدثنا أن فريدريش الثاني حاول القيام بهذه التجربة فلم يوفق . لكن هذه المحاولات وإن كانت قد أخفقت ، إلا أنها كانت السبب في خلق علم جديد ، ألا وهو علم مقارنة اللغات الذي استخدم كوسيلة من وسائل البحث عن اللغة الأصلية . ففي القرن الرابع

الميلادى نجد (هيرونيموس)[1] يشير إلى القرابة بين العربية والعبرية والفينيقية ، وتبعه علماء آخرون ، منهم الغربى ومنهم الشرقى ؛ وقد عاونوا جميعاً فى بناء هذا الصرح العظيم الذى تسلمه (ليبنتز) فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ودعمه ، وذلك لأنه كان يعتقد فى اطراد حياة اللغة الأصلية وانتشارها بين لغات كثيرة ؛ فجمع من تلك اللغات المواد التى كان يرى ضرورة الاستعانة بها لبناء هيكل اللغة الأصلية ، وعاونه على تحقيق غايته اتصاله الوثيق برحالة الصين الإيطالى (كلوديو جريمالدى) وملك بولنده (يوحنا سوبيسكى) ، وقيصرة روسيا (كترين الثانية) . لكن ما كاد يولد القرن التاسع عشر حتى رأينا العلماء ينقسمون إلى فريقين : فريق يستخف بنظرية برج بابل ، وكان على رأسه (فولتير) ؛ وآخر يعارضه بزعامة (فلهلم فون هومبولت) . ومن حسن حظ الفريق الأخير أن القرن التاسع عشر كان [illegible] الأثرية الخطيرة ، فرموز الهيروغليفية [illegible] ، وطلاسم الأكدية رفع القناع عنها ؛ وتسابقت بعوث الجامعات الأوربية والأمريكية إلى الشرق ونبشت أرضه ، فازداد تعمق اللغويين فى السنسكريتية ، واستطاع العلماء أن يرسموا خطاً تركيبياً يبين لنا مجموعة اللغات التى عرفت فيما بعد بالهندية الأوربية . ووفق (فرنس بوب) عام ١٨١٦ عندما نشر كتابه الذى درس فيه صرف اللغة السنسكريتية مقارناً بصرف اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والألمانية ؛ وقد أقام بكتابه هذا الدليل العلمى على قرابة هذه اللغات . ثم تلت هذه المجموعة مجموعة أخرى من اللغات الكلتية والصقلبية والألبانية والأرمنية . وهكذا أصبحنا نرى أنفسنا فى القرن التاسع عشر أمام مجموعة من الشعوب تمتد من الهند إلى شمال إرلنده ، تربط بينها رابطة الجنس ، وتوحّد بينها اللغات ؛ وكانت نتيجة هذا الكشف اللغوى العظيم أن أقبل تلاميذ فون هومبولت على بقية اللغات ، وأخذ كل فريق يعنى بلغتين أو أكثر ، حتى نجحوا أخيراً فى مد خطوط وهمية تفصل بين كل مجموعة وأخرى . واضطر اللغوى إلى التخصص فى أسرة من هذه الأسر ليتمكن من فهم اللغة التى يعنى بدراستها ، ويساهم إن استطاع فى الوصول إلى الهدف الرئيسى ، ألا وهو تحقيق نظرية برج بابل . والواقع أن هذه السنة الجديدة التى استنتها مدرسة فون هومبولت أتت بأحسن النتائج ؛ فقد ظهر من دراسات علماء الأسرات المختلفة أن بين لغات الأسرة [illegible] توجد مجموعة من المفردات والخصائص النحوية والصرفية التى تجب العناية بها قبل أن يقدم العالم على عمل دراسة مقارنة بين أسرة وأخرى . فظهر فى الأسرة الهندية الأوربية أمثال (روجان) ، والسامية الحامية (ووكلان) ؛ وبالاستعانة بالنتائج التى وصل بها علماء الأسرتين وغيرهما أصبح من اليسير على (هرمان مللر) ، و (ألفريدو ترومبتى) ، أن يقدما للعالم مؤلفاتهما التى تؤيد نظرية برج بابل ، وترجع سائر اللغات إلى لغة واحدة أصلية ، وهى اللغة الأم .

دكتور فؤاد حسنين

ضحى الاسلام
يباع كل جزء من أجزائه بأربعين قرشاً

(١) ولد فى دلماسيا فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى من أسرة مسيحية ، ودرس فى روما النحو والبلاغة ، ومن ثم اعتنق عام ٣٦٦ المسيحية ، ورحل بعد ذلك إلى الشرق — حيث أقام فى أنطاكية — وتعلم بعض لغاته ، وبعد أن أقام مدة فى الشرق رجع إلى روما ، وعاد ثانية مع صديقته بولا وابنتها ، وأقاموا جميعهم فى بيت لحم حيث أسسوا بعض الأديرة التى كانت تحت إشرافه ، وقد عرف بفساد الأخلاق والكذب

مراكش

على جناح الخيال

قسمت على الليالي أواه بعد ارتحالي
فبيننا اليوم سد يعج بالأهوال
بالحوادث ! مهدى أضحى بعيد المنال
وهكذا يا بلادي إذ سيرتني الليالي
وصرت عنك بعيدا تناثرت آمالي
فلا أزورك إلا على جناح الخيال

* * *

هذى جبالك هذى ربوعك الخضراء
هذى هضابك هذى رياضك الفيحاء
مصانع قد علتها سماؤك الزرقاء
لحيث سرت جمال وحيث كنا [illegible]
وأينما كنت سحر وبهجة وصفاء
فكيف لا يتغنى بحسنك الشعراء

* * *

أنصت.. فهذا الخرير وذاك صوت الطيور
وانظر.. فهذا ربيع في عالم مسحور
وانشق فهذى رياض فواحة بالعبير
واسبح.. فأنت خيال في عالم من نور
أين القرار لقلبي في كل هذا الحبور؟
فكل ما زهرة قد أغرته بين الزهور

* * *

حتى إذا ما تولى ربيعك الفتان
ولى الحبور ووافى شتاؤك الغضبان
فتعول الريح فيه وتستلب الأغصان
ويقبل الرعد يدوى كأنه حيوان
قد ثار في قفص السحب صوته الغضبان
ترددت من بعيد أصداءه الوديان

* * *

إن كنت في السكون حسناء يا بلادي الجميلة
فأنت أيضا مجال ومهبط البطولة
وإن يكن فيك حب ففيك أيضا رجولة
يهوى بنوك المعالي والمجد منذ الطفولة
إن الشجاعة فيهم عريقة وأصيلة
فكلهم مستميت ضد الحياة الذليلة

* * *

فيك الحياة أفاقت كما يفيق الربيع
تدب فيك فيصحو فؤادك المفجوع
هذى الحياة تنا ديك صوتها المسموع
فاستيقظ الجد وأم ار قبره المرفوع
وهب شعبك حيا وقد أحس الجميع
شعب كريم عريق في المجد، كيف يضيع!

* * *

مناظر تتوالى توالى الأوهام
فاستثارت خيالي واستأثرت عنانى
[illegible] شيئا تتابع الأيام
[illegible] الطيور للآجام
مهما تباعدت عني وكان بعد مقامي
آه.. فما زلت ألقى رباك في أحلامي

عبد المجيد بن جلون

الشعبة المصرية للجمعية الدولية للتعليم التجارى

بدار نادى التجارة العليا — ١٢٠ شارع عماد الدين . مصر

قررت الشعبة إجراء مسابقة في التأليف المسرحي من رواية تصلح للتمثيل في معاهد التجارة — وقد خصصت لهذا الغرض جائزتين قيمتهما مائة وعشرون جنيها ، منها ثمانون جنيها للفائز الأول ، وأربعون جنيها للفائز الثاني .

وتقبل الروايات لغاية آخر أكتوبر سنة ١٩٤٤ . والشروط التفصيلية للمباراة يمكن الحصول عليها من سكرتارية الشعبة بنادى التجارة العليا بشارع عماد الدين رقم ١٢٠ إما بالبريد أو بالزيارة من الساعة ٦ — ٨ مساء .

تفكير الحيوان

تنشر مجلة « المختار » تحت عنوان « حكمة الحيوان » طائفة من الوقائع والمشاهدات فى عالم الحيوان، جمعها الكاتب « ألن ديفو » . والأمثلة التى بدأت بنشرها فى عدد أبريل الأخير طريفة حقاً ، وعلى شىء من الغرابة التى تدعو للتأمل والتعجب ، كما أن فى العنوان الذى اختاره الكاتب وفى مقدمته الوجيزة شيئاً غير قليل من البراعة والتوفيق ؛ إلا أننى أرى أن رد كل ما نشاهده من ضروب الفطنة والذكاء والإدراك عند الحيوان إلى حكمة غريزية فيه ، لا يمكن إلا بوضع مفهوم جديد للفظة « الحكمة » ، فإن كان لا بد من هذا فما أجدر لفظة « التفكير » — التى يستبعدها الكاتب — باستيعاب تلك الأمثلة كلها . وماذا يضير الإنسان إذا اعترف بأن الحيوان يفكر ! وإن كان تفكيره ليس على النمط الذى حدثنا عنه علماء النفس وخصوه بالإنسان دون سائر الأحياء .

لقد شاهدت بنفسى كثيرا من الأمثلة التى تدل على أن الحيوان غير بعيد عن التفكير ؛ كما أنى رأيت أعمالا وحركات فى عالم الحيوان غير الناطق ، لا يقوم بها كائن حى إلا بدافع غريزى ينبئ عن تمتعه بقسط وافر من التفكير والإدراك ؛ وقد سجلت بعض ما رأيت وعاينت فى مذكراتى بجزء من « صور عن الطبيعة والمجتمع » أنشر اليوم صورتين منها ، لا شك أنهما تدخلان فى حكمة الحيوان التى يحدثنا عنها « ألن ديفو » ، ولعلهما تبرهنان على تفكير تتمتع به الحيوانات وتشقى !؟

١ — صراع :

... كنت أمشى الهوينا ، وأنا أحمل بندقية الصيد وأتطلع إلى الأشجار ، وأصغى إلى أصوات الطيور التى عليها لأصطاد ما أتخيره منها ، ساعة بلغ أذنى حفيف يقترب منى . وسريعاً وقع نظرى على ثعبان منطلق كالسهم فوق الأرض التى كنت أعلوها ببضعة أقدام ، فشدت قدمى وهممت بإطلاق النار ، غير أنى تمهلت عندما تبينت أن الثعبان يستهدف إدراك حرذون كان يعدو أمامه بسرعة بلغت منه أقصاها ، وبما كنت أنه لا بد مدركه بعد بضع خطوات لتفاوت سرعتيهما ، فتبعتهما بنظراتى . ولست أذكر الآن ماذا حدث بالتمام ، وخصوصاً اللحظة التى بدأ فيها ذيل الحرذون يدخل فم الثعبان ؛ غير أنى رأيت فجأة الثعبان مضطربا فاغرا فاه وهو يحاول ابتلاع طريدته . ومن الطبيعى أنى كنت أرى بين فكيه رأس الحرذون ، ولكن لم أعرف سبب توانيه فى ابتلاع فريسته ، إلا عندما بان لى من شدة مراقبتى لحركاته بأن الحرذون كان يحمل بين أسنانه عوداً يابسا طال حتى تعذر على الثعبان ازدراده . . . وعندئذ فقط أدركت ما صنع الحرذون ، فقد كان يركض جهده ، حتى إذا ما عثر على العود وقف ليدخله بين فكيه ، وفى اللحظة نفسها كان ذيله بدأ يدخل فى فم الثعبان . . .

اقتربت من مسرح العراك قليلا لأكون على كثب مما سيتم من شأن القوى الجبار والضعيف المحتال ، وكأن الثعبان أحس بدنوى منه ، فرأيته يلفظ الحرذون ، وقد يئس من ابتلاعه ، وينطلق غضبان متألما . . . أما الحرذون فظل فى مكانه لا يبدى حركة ؛ فظننت أنه قضى نحبه رعبا ، فحسبته فإذا به وقد اطمأن من بعد غريمه يترك العود ويعدو نحو شجرة قريبة فيتسلقها . . . (الحمامة صيف ١٩٣٤)

٢ — حارس :

وأخيراً استطاع أن يظفر بإحدى الدجاجات ، ولكن رصاص رجل المزرعة أدركه ، فخر يتخبط بدمه الخبيث . . . لقد كان واحداً من عصابة قوية من عصابات ابن آوى التى أخذت تهدد فى هذا الصيف القرية بفناء دجاجها ؛ وبدأت تهاجم منذ ليال خلت دجاجاتنا المعزولات ، ولولا عين المزارع الساهرة اليقظة لفقدناهن واحدة واحدة . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب قوانين الدواوين

لأسعد بن مماتي

جمعه وحققه عزيز سوريال عطية

طبع بمطبعة مصر سنة ١٩٤٣ في ٦٩٠ ص بقطع الثمن الكبير

إن أردت أن تعرف قيمة أي كتاب يقع في يدك ، فانظر إلى مؤلفه ، وإلى الساعي بنشره ، وإلى ناشره ، وإلى زينته ، أي التعاليق والحواشي والفهارس التي فيه ، والعناية التي بذلت في إخراجه للناس ، وبثه بين أيدي عاشقي العلوم ، وعشاق الفنون . فإن رأيت تحقيق كل هذه الصفات ، فقل : هذا الكتاب يجب أن يقتنى ويعتز به .

وقد وقع في يدنا التأليف الذي صدرنا به هذه الكلمة ، فألفينا مصنفه (ابن مماتي) الوزير الأيوبي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) ؛ وقد أوحى بطبعه الأمير [illegible] الشهير المرحوم (عمر طوسون) ؛ وحققه ورتبه الدكتور (عزيز سوريال عطية) ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية ؛ وسعى بنشره (الجمعية الزراعية الملكية المشمولة برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك) .

وقد وضع له ناشره ثمانية فهارس بديعة :

١ : في أسماء الأنبياء والملوك والأشخاص .

٢ : الأقسام الإدارية الواردة بالباب الثالث وبقية أجزاء الكتاب .

٣ : ترتيب الحروف الأبجدية بالباب الثالث .

٤ : أسماء البلاد والقرى والمساجد والجبال والأنهار والبحار بما في ذلك النواحي التي وردت في باب الملجان والترع والجسور .

٥ : الملجان والترع والجسور وما يتعلق بالري .

٦ : الموضوعات .

٧ : أسماء النبات والزرع .

[illegible] الاصطلاحات والألفاظ المستعصية .

لقد كانت هذه الحادثة ذات أثر في حياة [illegible] الباقيات ، فقد انتزعت من نفوسهن الثقة في حمايتنا لهن ، وأبت بعدها النوم في المكان المعد لهن ، واتخذن من أرفع أغصان شجرة زيتون باسقة مأوى لهن يعصمهن من غارات ليلية جديدة ...

... أخذت أراقب الدجاجات ، على بضعة أيام ، كيف ومتى يصعدن شجرة الزيتون عند المساء ، فأدهشتني رؤية ديكهن يقف قبيل الغروب عند جذع الشجرة ، ثم يأخذ بالإيعاز إليهن بالصعود ، بنغمة من صوته معينة ، حتى إذا ما صعدت آخر واحدة منهن ، قفز خلفها واستعلى ما استطاع .

... ودفعني العبث إلى إرسال من يفرط عقد الدجاجات ويشتت شملهن إذا ما حان وقت منامهن ، فكان يدهشني أن الديك ما صعد مرة قبل أن تصعد ثامن دجاجة من [illegible] كانتا يظل يصيح ويزمجر إذا ما تأخر بعضهن ، حتى ولو كن لا يراهن ، كأن يكن خلف بعض الجدران القريبة أو في أحد المنعطفات .

... وعند ما استبدلنا بالفقيدة دجاجة غريبة ظلت بضعة أيام لا ترافق موكب الديك ، ولهذا لم يكن ليدخلها تحت رعايته عند المساء ؛ فلما ألفت أخواتها ، أصبح لا يصعد شجرة الزيتون إلا بعد الدجاجة التاسعة !! ... (جرابلس صيف ١٩٣٧) .

* * *

أنقل هاتين الصورتين وأنا متردد في الجزم بأن الحيوان يفكر ، وأنه يحسب أيضاً . ولعل الدكتور إسحاق الحسيني من الذين يؤيدونني ويأكدون معي بوجود التفكير عند الحيوان ، أو عند الدجاج على الأقل !! ...

دمشق محمد عبد الباسط الخطيب

فأنت ترى من هذا الإجمال في القول، ما انطوى عليه هذا التأليف الثمين الذى يزرى بعقد الجمان، بل بكل مقوَّم بصوره الإنسان. وقد قال فيه صاحب السموّ الأمير الخطير، المرحوم عمر طوسون، رئيس الجمعية الزراعية الملكية، ما نصُّهُ: «كنا وفقنا أثناء تنقيبنا بين الكتب إلى الوقوف على «كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى الذى نقدمه اليوم إلى قراء اللغة العربية، وتبيَّنَّا أهميته العلمية والتاريخية، فعرضنا على مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية أمر طبعه فأقرَّ ذلك» ... «وهذا الكتاب الذى يعتبر بلاشك وثيقة من أهمّ الوثائق عن حال الزراعة ونظم الدواوين المصرية في عهد الدولة الأيوبية التى لم يصلنا عنها إلى النزر اليسير — فإنا نرجو أن ينتفع به قراء العربية والمشتغلون بشؤون الزراعة والتاريخ، ويحقق ما قصدنا إليه من خير وفائدة» اهـ.

وقد شاهدنا من عمل الناشر ما يدهش كل قارئ وأنه مقدِّر لأتعاب من يعنى بنشر التصانيف من مخطوطاتها النائمة إلى عالم النور. فقد أظهر الأستاذ الكبير الدكتور عطية من القدرة في إحياء هذا الأثر العظيم، ما يتحدَّى كل عالم عامل أن يصيب فيه عيباً أو خللاً، إلا ما لا يعتد به، ولا يلتفت إليه؛ مثال ذلك ما جاء في ص ٥: «تكلم ابن مماتى بصفة عامة عن مصر» وأحسن منها أن يقال: ابن مماتى بصفة عامة في مصر. لأنه يقال: تكلم عن كذا، أى دافع عنه — وفي تلك الصفحة «وجزايرها ومناها» وأفضل منها: وجزائرها ومنياتها. أى بهمز جزائرها كما يصرح به أرباب النحو؛ وأما مناها فجمع مُنْية بمعنى الأمنيَّة، وإنما هنا يراد بها جمع منية التى تضاف إلى كثير من الحروف الدالة على مدينة أو قرية أو بُلَيدة؛ ويعدّ منها في مصر أكثر من ثلثمائة. على أن تكسير منية على منى جائز، من باب تكسير العلم والتصرّف فيه تصرف النكرات؛ فيجمع ويثنى إلى آخر ما هناك؛ فقد قالت العرب مثلا الزيدون والزيود في جمع زيد. وكذلك فعل ابن مماتى، فإنه جمع منية على منى وثناها في بعض الأحيان، فجاء في الكتاب: منى الأمير، ومنى البوهات، ومنى القمح في الجمع، ومنيتى الحوفيين والجنابين، ومنيتى الطبيل وسويل، ومنيتى الشرف والعامل، وغيرها في المثنى.

وفي ص ٦ استعمل الدكتور العلامة: الإخصائيين بمعنى الاختصاصيين، وقد استهجنها مجمعنا اللغوى، وقال في مكانها: الاختصاصيين. وجاء في ص ٩: «بلغنى أن بعض تجار الهند قدم إلى مصر، ومعه حكماً مصنوعة من عنبر قد تُشُوِّق فيها وأجيد» وقد ضبطت تُشُوِّق بتاء بين مثناتين فوقيتين؛ وظنها من أغلاط الطبع التى نُسى إصلاحها، إذ الصواب ظاهر وهو تُشُوِّق أى بتاء ونون مضمومتين وكسر الواو المشدَّدة.

ولا أعتبر هذه الهفوات ونظائرها إلا شامات في وجه الحسناء.

وكنا نود أن يوضع على كل خمسة أسطر رقماً يهدى إلى عددها في الصفحة، لتسهيل المراجعة على من يريد أن يهتدى إلى موطن الكلمة من سطور الصفحة الواحدة. وما هذا كله بشيء، بذكر بجانب ما بذل الناشر من التعب والنصب، زاده الله صحة وعافية!

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ من يوم ٢٣/٧/١٩٤٤ عن توريد الشعير اللازم للجيش والمصالح الأميرية والشروط بإدارة المشتريات والعقود وثمن النسخة مائتان وخمسون مليما ٢٣٥١

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — شارع الكرداسى رقم ٩ بعابدين — مصر